الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العـالي والبحـث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحيى –جيجل–

الرقم التسلسلي: .....

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان:

تجليات المنهج الوصفي في الدراسات النحوية العربية

–مدرسة الكوفة أنموذجا–

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: علوم اللسان

إعداد الطالبتين:

- شهيناز عبدوس
- فادية يخلف

إشراف الأستاذ(ة):

أسماء دنايب

أعضاء لجنة المناقشة:

- الأستاذ(ة)/ أحمد برماد.....رئيسا
- الأستاذ(ة)/أسماء دنايب.....مشرفا ومقررا
- الأستاذ(ة)/ فاطمة الزهراء بوربونة.....عضوا مناقشا

السنة الجامعية:

2016 / 2017 م

1437 / 1438 هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء

اللهم علمنا أن نحب كما نحب أنفسنا

وعلمنا أن نسامح كما نسامح أنفسنا

وعلمنا أن التسامح هو أكبر مراتب القوة

وأن الإنتقام هو أكبر مراتب الضعف

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما

اللهم لا تجعلنا نصاب بالغرور إذا نجحنا ولا باليأس إذا أخفقنا

وذكرنا أن الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح

اللهم إذا أعطيتنا نجاحا فلا تأخذ تواضعنا

وإذا أعطيتنا تواضعا فلا تأخذ اعتزازنا بكرامتنا

يا رب إذا أسأنا إلى الناس فامنحنا شجاعة الاعتذار

وإذا أساء الناس إلينا فامنحنا شجاعة العفو

يا رب إذا أعطيتنا مالا فلا تأخذ سعادتنا

وإذا أعطيتنا نجاحا فلا تأخذ تواضعنا

إذا جردتنا من النجاح فاترك لنا القوة حتى نتغلب على الفشل

وإذا جردتنا من نعمة الصحة فاترك لنا نعمة الإيمان

شكر وتقدير

في البداية نشكر المولى عزوجل الذي أنار لنا درب العلم

وأعاننا على إتمام بحثنا هذا

واعترافا بالفضل لأهله وامتثالا لقول رسول الله" صلى الله عليه وسلم":

"من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

وقوله تعالى:

"ولئن شكرتم لأزيدنكم"

وعلى هذا نتقدم بخالص الشكر إلى الأستاذة المشرفة "أسماء دنايبة" على مجهوداتها التي بذلتها معنا لإنجاز هذا البحث

كما لا يفوتنا أن نشكر كل من ساعدنا وكل من مد لنا يد العون

من قريب أو من بعيد

في إنجاز هذا العمل كما نوجه تحية مفادها الأخوة إلى كل

الزملاء والزميلات

وشكرا

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الكريم، الذي خصّه بالقرآن الكريم حجّة بالغة، نورا للمؤمنين، وسراجاً للعلماء المهتدين، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه القويم إلى يوم الدين، أمّا بعد:

اللغة العربية لغة العروبة والإسلام، وأعظم مقومات بناء الأمة، وهي لغة حية دائمة التجدد والتطور.

شأنها شأن اللغات الحية، النابع تطورها من كونها ظاهرة عامّة، ومؤسسة بشرية دائمة الحاجة إلى مواكبة التغيرات الحياتية.

وقد كان لنزول القرآن الكريم الأثر الأعظم في تطور اللغة العربية ،وحياة العرب بنواحيها كافة، من بين تلك النواحي ولادة علوم العربية ،على رأسها علم النحو الذي دعت الحاجة إليه من أجل المحافظة على القرآن العظيم من اللحن، ثم اتّسع الهدف بمرور الزمن وصارت اللغة غاية الدراسة، فمضى الدارسون يستقرئونها، ويبدون ملاحظاتهم متخذين من السماع أساساً لبناء هذه اللغة، حتى قيل إنّ السماع هو أبو الملكات اللغوية.

فخطت الدراسات اللغوية خطوة واسعة، وانتقل الدرس اللغوي من هدفه الديني إلى هدفه التعليمي وأخذت الأفكار تتطور في كل مرحلة إلى أن أصبح النحو علماً قائما بذاته، وموروثا قيّماً، فما كان من نتائج هذا العلم أن تمخضت عنه أهم مدرستين هما المدرسة البصرية، والمدرسة الكوفية، اللتان لازال التاريخ يشهد لعلمائهما بأعمالهم، وإن اختلفت طرق البحث والتقصي بينهما، وكذا طريقة دراسة النحو ووضع القواعد وتأصيلها.

وبقيت الدراسات اللغوية في هذه الفترة تشهد الازدهار والرقي، فكثرت المصنفات وتتالت الأحقاب والأزمنة، وككل اللغات عرفت اللغة العربية أطوارا من التدهور والانحطاط دام قرون عدة.

ومع بداية العصر الحديث بدأ الفكر اللغوي العربي ينتعش من جديد بانفتاحه على الثقافة الغربية، فعاد اهتمام الدارسين باللغة العربية، وظهرت أفكار التجديد في مختلف المجالات اللغوية مجسدة في شكل توجهات لسانية كالاتجاه التاريخي والمقارن.

وخلال القرن العشرين ظهر الاتجاه البنيوي الوصفي، هذا الاتجاه الذي نقل الدراسات اللغوية من التأمل والفلسفة إلى الموضوعية والعلمية، فحظيت النظرية البنيوية في اللسانيات بمكانة هامة أهلتها لاحتلال الصدارة في الدرس اللغوي نظرا لما قدّمته من نتائج تنظيرية وتطبيقية حول طبيعة اللغة لكونها تهتم بالجانب الشكلي والتحليلي لبنية اللغة من خلال ربطها بالجانب الواقعي لها.

حاول اللسانيون العرب المحدثون بعد اطلاعهم على المناهج اللغوية الحديثة تطبيقها على اللغة العربية وذلك بإعادة قراءة التراث النحوي العربي القديم، والبحث عن المنهج المناسب لدراسة النحو العربي.

وضمن الاتجاه البنيوي الوصفي يندرج موضوع هذا البحث والذي جاء بعنوان "تجليات المنهج الوصفي في الدراسات النحوية العربية –"مدرسة الكوفة أنموذجا"– وهي محاولة لتطبيق الإتجاه البنيوي الوصفي على قواعد اللغة العربية، والربط بين الفكر اللغوي العربي القديم، والأفكار التي جاءت بها هذه النظرية الحديثة.

وتم اختيار مدرسة الكوفة على اعتبار أنها من المدارس التي كانت دراساتها النحوية أقرب للمنهج الوصفي.

وضمن هذا جاء طرح الإشكالية الجديرة بالدراسة على النحو الآتي:

– ما هي نقاط التقاء المنهج الوصفي والدراسات النحوية الكوفية؟

– ما هي ملامح المنهج الوصفي عند الكوفيين، وفيما تتجلى مظاهره؟

- هل كانت أوليات النحو العربي وصفية قبل تحوّلها للمعيارية؟

- هل طريقة الكوفيين في بناء القواعد النحوية والعزوف عن التأويل السبب في جعل المحدثين يطلقون عليها إسم المدرسة الوصفية؟

وهي إشكالية سبق إلى بحثها علماء عرب ضمن ما يسمّى بإعادة قراءة التراث اللغوي العربي القديم بهدف الاستفادة من الأفكار والمحافظة على التراث اللغوي، وإصلاح وتيسير النحو، ومن هؤلاء العلماء: مهدي المخزومي في كتابه "مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو"، والأستاذ عبد الفتاح الحموز في كتابه "الكوفيون في النحو والصرف والمنهج الوصفي المعاصر"، والأستاذ "عبده الراجحي" وكتابه "النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج".

وبالنسبة للأسباب والدوافع الباعثة على اختيار هذا الموضوع: أولها الدافع الذاتي والذي يتمثل في رغبة التوسع والإطلاع على الإتجاه البنيوي الوصفي في النحو العربي، ومحاولة إثبات ملامحه عند الكوفيين كون هذا المنهج من المناهج التي اعتمدها النحاة العرب في بداية جمعهم للغة العربية والتقعيد لها، وثانيهما محاولة بيان أهمية المدرسة الكوفية بعدّها مصدراً أساسياً من مصادر النحو العربي، وإعادة ردّ الاعتبار لهذه المدرسة لكونها أهملت من طرف الدارسين قياسا بالمدرسة البصرية.

ومن أهمّ أهداف البحث إثبات أسبقية النحاة العرب في تطبيقهم لإجراءات ومبادئ المنهج الوصفي العلمية ولو بطريقة غير مباشرة، وبيان قيمة الموروث اللغوي العربي وخاصة النحوي منه، والحث على ضرورة إعادة قراءته قراءة جديدة.

وقد اعتمد في هذه الدراسة على المنهج التاريخي، وذلك عند تتبع نشأة الدراسات اللغوية القديمة والحديثة عند العرب والغرب ،وتطورها عبر العصور المختلفة ،والمنهج الوصفي عند القيام باستقراء بعض العينات من كتب "الكسائي"، "الفراء"، و"ثعلب" بغية الكشف عن طبيعة المنهج النحوي الوصفي عند مدرسة الكوفة، والوقوف على بعض المفاهيم اللسانية الحديثة فيها من خلال التركيز على دراسة المستوى التركيبي .

وقد تدرّج هذا البحث وفق خطوات علمية، وخطة منهجية تمثلت في مقدمة، مدخل، فصلين، وخاتمة عبارة عن مجموعة من النتائج المتوصل إليها بعد الدراسة النظرية والتطبيقية.

فكان المدخل بعنوان "الدراسات اللغوية القديمة" وجاء فيه التطرق إلى الجهود اللغوية عند القدماء ،ثم يليه الفصل الأول بعنوان "الدراسات اللغوية الحديثة والمنهج الوصفي" ويمثل هذا الفصل الجانب النظري للدراسة وقسّم إلى مبحثين: الأول بعنوان "الدراسات اللغوية ما قبل الوصفية" وتناول بالدرس اللسانيات التاريخية ،المقارنة والنحاة الجدد، أما المبحث الثاني فكان بعنوان "الدراسات اللغوية الوصفية" وجاء فيه الحديث عن اللسانيات العامة وعن المنهج الوصفي عند الغرب وعند العرب.

بينما كان الفصل الثاني خاصّاً بالدراسة التطبيقية عنون بـ "الملامح الوصفية في الدرس اللغوي الكوفي" وقد احتوى على مبحثين، الأول بعنوان: المفاهيم العامة وتطبيقها في الدراسات الكوفية، والثاني بعنوان: المفاهيم الخاصة وتطبيقها على كتب الكسائي والفراء وثعلب .

وقد اعتمد البحث في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع المتنوعة منها: "المدارس النحوية لشوقي ضيف"، "نشأة الدرس اللساني العربي الحديث لفاطمة الهاشمي بكوش"، مؤلفات "تمام حسان"، إضافة إلى

الكتب التي اعتمد عليها في الجانب التطبيقي "معاني القرآن" للكسائي، "معاني القرآن" للفراء ،و"مجالس ثعلب" لثعلب.

ومن الصعوبات التي اعترضت سبيل البحث ضيق الوقت، قلة الدراسات التي بحثت في المذهب الكوفي وخصائص تقعيده للنحو.

وفي الأخير نتقدم بالشكر والامتنان إلى الأستاذة المشرفة "أسماء دنايب" التي أشرفت على هذا العمل وتحملت معنا عناء إنجازه بتوجيهاتها السديدة.

ونسأل الله العلي القدير أن يوفقنا إلى ما فيه الخير والنفع.

مدخل

الدراسات اللغوية القديمة

توطئة

1- الهنود

2- اليونان

3- الرومان

4- العرب

4-1- مدرسة البصرة

4-2- مدرسة الكوفة

4-3- الخلاف بين المدرستين

4-4- مدرسة بغداد

4-5- عصر الانحطاط

توطئة:

تعدّ اللغة أهم مظاهر الحياة الإنسانية، فبفضلها تُرتسم ملامح هويّة الأمّة، لتتميّز عن باقي الأمم، كما أنها أوضح أدوات التواصل، والتفاهم بين أفراد المجتمعات والحضارات، الأمر الذي جعلها تحظى بالكثير من الدراسة والاهتمام منذ القدم، ويتضح ذلك من خلال إسهامات العديد من اللغويين ،والمفكرين القدامى في تتبع خواصها ووضع قوانينها، يذكر من أولئك:

1- الهنود:

يعتبر الهنود أول الشعوب التي اهتمت بدراسة لغتها وخصائصها، وقد كان البحث اللغوي عندهم وَليدَ الشعور الديني، «وهو المحافظة على كتابهم المقدس "الفيدا" Veda، الذي يعود تاريخ ظهوره إلى حوالي ألف ومائتين (ق.م)، وبمرور الزمن أصبحت "السنسكريتية" Sanskrit لغة الفيدا لغة قديمة لا يفهمها إلا جماعات قليلة، وباتت النصوص فيها مهجورة، فانكبّ جماعة من المتعلمين على دراسة هذه النصوص المقدّسة وشرحها وتفسيرها، بغرض المحافظة عليها، ومن ثمّ ظهر ما يسمّى بالنحو البانيني نسبة إلى العالم الشهير "بانيني" panini الذي قام بوصف الخصائص النحوية للغة السنسكريتية، فكان هذا سببا جعل منها لغة رسمية وأدبية في الهند ، وقد نال كتابه المسمى "الأقسام الثمانية" Ashtaydhyayi شهرة واسعة، حيث تطرق فيه إلى المشكلات الصوتية ومخارج الأصوات، الإبدال، قواعد الجنس، والعدد»[1] .

وتجدر الإشارة إلى أنّ كشوف الهنود في حقل اللغة كانت من بين أهم بواعث الدرس اللساني الحديث.

[1] شفيقة العلوي: دروس في المدارس اللسانية الحديثة «التنظير، المنهج والإجراء»، دار كنوز الحكمة، الجزائر، دط، 2013م، ص5.

وبالنسبة إلى نشأة اللغة فقد أدرك الهنود بأنّ الدور الذي يلعبه عامل محاكاة الطبيعة عامل محدود، وأنّ العلاقة العرفية، ومبدأ التواضع الاجتماعي هو العلاقة النموذجية في ظهور اللغة وتطورها، إضافة إلى اعتمادهم على الفلسفة والمنطق في دراسة اللغة، بينما وضعوا في مجال المعاجم قوائم للكلمات، والألفاظ استنادا إلى النصوص المقدسة.[1]

فكانت دراسة الهنود للغة كما هو جليّ وافية جمعت بين واقع اللغة و استعمالاتها،من خلال التركيز على الدراسة الوصفية.

2- اليونان:

نشأ التفكير اللغوي عند اليونان في أحضان الفلسفة، فقد كان الفلاسفة اليونان أمثال «"بروتاغوراس" Protagoras، و"قراطيس" Krates، السباقين إلى البحث في اللغة ومشكلاتها ،والتساؤل عن أصلها وطبيعتها»[2]، فتعددت بذلك النظريات، والرؤى لديهم حولها متخذة مسارا جدليا واسعا «"فأفلاطون" Plato كان يرى في اللغة إلهاما، وموهبة نشأت مع الإنسان، وفرق بين الإسم والفعل، كما أنّه أول من اكتشف إمكانية التوليد (أي الاشتقاق)»[3] ، وإن كان أفلاطون يؤمن بالنشأة الطبيعية للغة، ومصدرها الغيبي ذهب فلاسفة آخرون للنشأة المصطنعة أو الوضع البشري للغة. ولم تنحصر أعمال اليونانيين في دراسة أصل اللغة فقط

بل تناولوا علم الاشتقاق أي تتبع الأسماء حتى أصولها الأولى، وبالتالي تتبع اللهجات واللغات الأجنبية.

---

[1] ينظر: نعمان بوقرة: اللسانيات العامة اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، دار عالم الكتب الحديث، عمان، ط1، 2009م، ص33-34.

[2] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2005م، ص16-17.

[3] شفيقة العلوي: دروس في المدارس اللسانية الحديثة «التنظير، المنهج والإجراء»، ص6.

3- الرومان:

جاءت الدراسات اللغوية عند الرومان تابعة للدراسات اللغوية اليونانية، فلم يقدّم الرومان ابتكارا في مجال الدراسات اللغوية، وهذا ما أكّدته أغلب المصادر، فقد طبق هؤلاء مقولات اليونان في وصف اللغة اللاتينية كما نسجوا على منوالهم العديد من المؤلفات منها كتاب« "اللغة اللاتينية" "لفارون" Varro الذي أكّد فيه بأنّ الأبجدية اللاتينية مأخوذة عن اليونانية، معتبرا بذلك اللاتينية جزء من اللهجة اليونانية الغربية، أمّا كتاب "فن الخطابة" "لكونتيليان" Quintilian فقد تناول وصفا دقيقا لقواعد اللاتينية، كما ألف بعده "بريشيان" Prician كتاب "قواعد اللغة" الذي ميز فيه بين الظواهر اللغوية، كتفريقه بين الأسماء والأفعال»[1].

ومن الملاحظ أنّ الدرس اللغوي عند الرومان ارتبط ارتباطا وثيقا بالدّرس اليوناني، وهذا ما أكّده "ماريوباي" Mariopei في قوله: «ولقد قام كلّ من الرومان واليونان بكتابة قواعد نحوية للغتين اليونانية واللاتينية ،وكانت كلها تتحدث عمّا ينبغي أن يكون بدلا من وصف ما هو كائن، وأهملوا وصف اللغات الأجنبية أو عقد مقارنة بين اللاتينية واليونانية، أو البحث في التطور اللغوي». [2]

وعليه يمكن القول أن الدراسات اللغوية كانت مثالية لا واقعية، لا تخلو من المقولات الفلسفية و المنطقية سواء عند اليونان أو ورثتهم من الرومان.

---

[1] المرجع السابق، ص7.

[2] شفيقة العلوي: دروس في المدارس اللسانية الحديثة، ص7، نقلا عن ماريوباي: لغات البشر، ص256.

4- العرب:

من المعروف أنه لم يؤثر عن العرب أي نوع من الدراسات اللغوية قبل الإسلام، أي أن البداية عندهم جاءت متأخرة زمنيا عن باقي الأمم الأخرى التي سبق الحديث عن جهودها –الرومان، الهنود واليونان–ولهذا فقد أجمع المؤرخون على أنّ ظهور الدّرس اللغوي عند العرب، كان نتيجة عدة عوامل ودوافع، أبرزها الدافع الديني والمتمثل في القرآن الكريم الذي عدّ نقطة تحول فكري وحضاري في تاريخ العرب، كما يرجع إليه الفضل في قيام حركة علمية في القرن الثاني للهجرة، والتي توّجت بأعمال العديد من العلماء وأهل اللغة ،الذين انكبوا على دراسة النصوص القرآنية، وفهمها وجمع مادتها اللغوية، واستنباط أحكامها ووضع قواعدها وإتقان قراءتها، ومن هؤلاء: «جهود "أبي الأسود الدؤلي" في وضع نقاط الإعراب، و"عبد الله بن عباس" الذي ينسب إليه أول كتاب في لغات القرآن»[1].

إضافة إلى تأليفهم كتبا في علوم الشريعة، وأخرى في تفسير القرآن، وفقه الإسلام وغيرها، وكل هذا من أجل المحافظة على سلامة اللغة، والسليقة العربية من اللحن، الذي تفشى في الأوساط العربية بعد دخول الأعاجم، واختلاط الألسن، وبعد ذلك اتجه العلماء إلى دراسة باقي العلوم الأخرى متأثرين في ذلك بالدراسات اللغوية عند الهنود والرومان، فدرسوا اللغة دراسة علمية شاملة تقوم على الوصف ،التحليل، والاستقراء، ووضعوا القواعد الخاصة بها، فنال بذلك الجانب الصوتي الحظ الأوفر من الإهتمام لدى العلماء على اختلاف توجهاتهم من قراء، نحاة، أصوليين، وفلاسفة، وعدّ الأساس الأول المعمول به في وضع المعايير الأساسية في النحو، ولم تنحصر الدراسات اللغوية العربية في الجانب الصوتي فقط، بل تعدته إلى دراسات نحوية، دلالية، وصرفية أسهمت

[1] عبد المجيد مجاهد: علم اللسان العربي، الشركة العربية المتحدة، القاهرة، دط، 2009م، ص105.

في تنوع المصطلحات الواصفة لتلك الدراسات، وتعدّدها في التراث العربي كمصطلح العربية ،علم العربية، علم اللغة، وعلم اللسان.[1]

ولعلّ أهم إنجاز حققه الدرس اللغوي في هذه المرحلة هو إرساؤه المعالم الأولى للدرس النحوي، الذي تبلور فيما بعد في شكل مدرستين هما مدرسة البصرة والكوفة.

4-1- مدرسة البصرة:

تعد مدرسة البصرة من أولى المدارس النحوية، وأسبقها في وضع النحو، فقد احتلت هذه المدرسة بفضل عوامل عدة كالموقع الجغرافي مكانة مرموقة في التاريخ العربي، كما كان الفضل لجهود علمائها، وإقبالهم على دراسة اللغة منذ القرن الأول للهجرة، الدور الكبير في إرساء الدعائم الأولى لهذه المدرسة التي تميزت بمنهجها العقلي، ومبادئها العلمية الصارمة. [2]

كان للموقع الجغرافي للبصرة الأثر البارز في سبقها للإشتغال بالنحو، لأنها أقرب مدن العراق إلى العرب الأقحاح الذين لم تختلط لغتهم بالأعاجم، بالإضافة إلى تأثر نحاة البصرة بنهج المعتزلة من خلال الإعتداد بالعقل والمنطق ،وانعكاس ذلك على الدراسات النحوية.

أ- أعلامها: قسمت كتب الطبقات، طبقات العلماء على النحو الآتي:

---

[1] ينظر: نعمان بوقرة: اللسانيات العامة، اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص202-206 .

[2] ينظر: صلاح رواي: النحو العربي ،نشأته، تطوره، مدارسه ورجاله، دار غريب للنشر، القاهرة، دط، 2003م، ص111.

-الطبقة الأولى: ارتبطت بأبي الأسود الدؤلي (ت69هـ)، وعاصره عبد الرحمان بن هرمز (ت 117 هـ)، فكل الروايات تجمع على أنّ أبا الأسود الدؤلي هو واضع النحو، بصرف النظر عن مصدر الاقتراح سواء أكان عمر بن الخطاب أم علي بن أبي طالب، وإلى جانب وضعه النحو، فقد ارتبطت به نقط الإعراب، وقد توفي سنة 69 هـ ولم يترك مؤلفا، وأخذ النحو عنه بالمشافهة في حلقات العلم.[1]

-الطبقة الثانية: وهي طبقة «تلاميذ أبي الأسود الدؤلي وأشهرهم: نصر بن عاصم الليثي (ت89 هـ)، وعنبسة الفيل (ت 100 هـ)، ويحيى بن يعمر العدواني (ت 129 هـ)، وأشهر ما ارتبط بهذه الطبقة هو وضع نقط الإعجام على يد نصر بن عاصم الليثي، بالإضافة إلى تبويب النحو والتوسّع فيه على يد يحيى بن يعمر العدواني»[2]، كما أن هذه الطبقة كانت تعتمد على المحفوظ فقط، فتميزت بنحوها القليل.

-الطبقة الثالثة: أشهر أعلامها «عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت117هـ)، وعيسى بن عمر الثقفي (ت149 هـ) ،وأبو عمرو بن العلاء (ت 154 هـ)، ويونس بن حبيب الضبي (ت182هـ)، وأبو الخطاب الأخفش الأكبر (ت 172 هـ).

وأشهر ما تميزت به هذه الطبقة التوسع في القياس على يد أبي إسحاق الحضرمي، فهو «أوّل من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل»[3] أي أنّ هذا العالم كان يخضع للقياس كثيرا، ويعلل النحو.

---

[1] ينظر: إبراهيم عبود السامرائي: المفيد في المدارس النحوية، دار المسيرة، عمان، ط1، 2007م، ص46-47.

[2] المرجع نفسه، ص48.

[3] إبراهيم عبود السامرائي: المفيد في المدارس النحوية، ص49.

–الطبقة الرابعة: وأشهر أعلامها الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) وما جاء به من علوم، لذا تميزت هذه المرحلة بالنضج المنهجي والمعرفي، حيث اكتمل النحو ونضج على يده، كما وضع بتقاليبه القياس الافتراضي بالإضافة إلى شكل العربية، وتحليل مخارج الأصوات.[1]

–الطبقة الخامسة: من أشهر علمائها سيبويه (ت180 هـ)، اليزيدي (ت202هـ)، أبو زيد (ت215هـ) والأصمعي (ت216هـ)، ويعتبر –سيبويه– التلميذ الأول للخليل بن أحمد الفراهيدي، أخذ عن الخليل وكل أعلام الطبقة الثالثة، وقد ارتبط بهذه المرحلة تأليف النحو، وتصنيفه من خلال كتاب سيبويه "الكتاب" الذي بحكم شموليته سمي "قرآن النحو".[2]

وقد تتالت طبقات البصريين في سلسلة من دون تقطع، فجاء من بعد سيبويه «الأخفش الأوسط، قطرب أبو عثمان المازني، أبو علي الفارسي وتلميذه ابن جني (ت392هـ)، وأبو البركات بن الأنباري (577هـ)...الخ».[3]

يتضح من خلال أعلام هذه الطبقات تأثرهم الكبير بالمنهج العقلي، وقد ظهرت سماته في القواعد والقوانين التي احتكموا إليها، ولم يدخروا جهدا في تطويع ما خرج عن أحكامهم لمنطق القاعدة، متكلفين في ذلك مختلف وسائل التأويل.

ب– مبادئها: اعتمدت مدرسة البصرة في وضعها للقواعد النحوية على مجموعة من المبادئ والأسس هي:

---

[1] ينظر: المرجع السابق، ص50.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص56– 57.

[3] عبد الكريم محمد الأسعد: الوسيط في تاريخ النحو العربي، دار الشواق، الرياض، ط1، 1992م، ص70.

– من حيث الاستقراء اشترطوا صحة المادة التي يشتقون منها قواعدهم،ومن أجل ذلك رحلوا إلى أعماق البوادي المقطوع بعراقتها في العربية، والمصونة فطرتهم من رطانة الحضارة الأجنبية، فاختاروا من العرب قيسا وتميما وأسدا ثم أخذوا من هذيل وبعض كنانة وبعد الطائيين، والتي امتد الاحتجاج بها إلى القرن الرابع الهجري، ولم يأخذوا عن حضري ولا من سكان البراري ممن كان يجاور الأمم الأخرى.

– من حيث الاطراد في القواعد، فقد تشدّدوا فيها تشدّدًا جعلهم يطرحون الشاذ، ولا يعولون عليه في القليل أو الكثير، بمعنى أنهم كانوا لا يقيسون كلامهم على الشاذ إلّا عند الضرورة الملحّة.

– أما من حيث القياس والتعليل، فقد توسّعوا فيهما، إذ طلبوا لكل قاعدة علّة. [1]

بالغ البصريون في التحري والتنقيب عن الشواهد السليمة، وأبلوا بلاءا حسنا في ذلك، فتغاضوا عن كل شاهد منحول أو مفتعل، الأمر الذي جعل أقيستهم وقواعدهم دقيقة وقريبة من الصحة، وهو ما يؤكد منهجهم العقلي في التنظير لقواعد اللغة العربية.

4–2– مدرسة الكوفة:

عرفت الدراسات النحوية بالكوفة تأخرا ملحوظا، ولذلك قيل أنّ مدرسة الكوفة حديثة العهد والنشوء إذا قيست بمدرسة البصرة، «فقد سبقت البصرة الكوفة بدراسة النحو بنحو قرن من الزمن، فالنحو إذن لم ينشأ في الكوفة وإنما وفد عليها من البصرة، ونشره فيها بصريون جاؤوا إليها واستوطنوها، وكوفيون رجعوا من البصرة بعدما

[1] ينظر: شوقي ضيف: المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، ط7، دس، ص18–19.

تتلمذوا لشيوخها»[1]، وأخذوا عنهم النحو أمثال "الكسائي" الذي أخذ عن الخليل بن أحمد الفراهيدي، يونس بن حبيب، وعيسى بني يعمر، وغيرهم ولم تتضح معالم هذه المدرسة كمدرسة مستقلة لها سماتها المميزة، وخواصها المنوطة بها، إلاّ من خلال مناوأتها للبصرة، ومناهضتها لمبادئها، ورد آراء نحاتها، ومن الأسباب التي أدّت إلى تأخر النحو بالكوفة بعدها عن طريق التجارة، ومواطن تبادل الثقافات، وطبيعة الحياة العسكرية بها، فضلا عن هجرة الكثير من القراء، الفقهاء، والشعراء إليها، حيث أرسل عمر بن الخطاب إليها عمار بن ياسر ليكون أميرا ،وعبد الله بن مسعود ليكون معلما ووزيرا ،ضف إلى ذلك اشتغال علمائها بالقراءات القرآنية، الحديث النبوي، وأصول الفقه، فلمع بها ثلاثة من القراء السبعة المشهورين هم: عاصم بن أبي النجود ،حمزة بن حبيب الزيات، وعلي ابن حمزة الكسائي، إلى جانب رواية الشعر ودراسة الأدب لتمكن العادات القبلية فيهم كالمفاخرات، المنافرات والإشادة بالأصول والأجداد.[2]

وبالرغم من عزوف أهل الكوفة عن النحو، وقلة اهتمامهم به في أول الأمر إلاّ أنّ هذا لم يمنعهم من تأسيس منهج خاص بهم، ومدرسة مبنية على مبادئ تختلف عن مبادئ البصرة، كما لم يمنعهم ذلك من منافسة المدرسة الأولى للنحو- البصرة-.

---

[1] مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، دار مصطفى البابي، القاهرة، ط2، 1958م، ص39.

[2] ينظر: صلاح رواي: النحو العربي نشأته، تطوره، مدارسه ورجاله، ص377.

أ– أعلامها: اختلفت آراء العلماء حول المؤسس الحقيقي للمدرسة، فهناك من نسبها إلى «أبي جعفر الرؤاسي ومعاذ بن مسلم الهراء، أما الرأي الثاني، فقد ذهب أصحابه إلى أنّ الكسائي، وتلميذه الفراء هما المؤسسان الحقيقيان لهذه المدرسة»،[1] وانطلاقا من هذا يمكن تقسيم أعلام هذه المدرسة إلى طبقات:

الطبقة الأولى: وتشمل كلا من أبي جعفر الرؤاسي، ومعاذ بن مسلم الهراء.

– أبو جعفر الرؤاسي (ت175هـ): وهو أبو جعفر محمد بن الحسن الرؤاسي بن أخي معاذ الهراء، وسمي بالرؤاسي لكبر رأسه... نشأ بالكوفة، وأخذ النحو عن علماء البصرة، فأخذ عن عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء، ومن أشهر تلامذته الكسائي والفراء، ويعود إليه أوّل كتاب في النحو سمّاه "الفيصل" بالإضافة إلى كتب أخرى منها: "معاني القرآن"، "كتاب الوقف"، الابتداء الكبير والصغير".

– معاذ بن مسلم الهراء (ت 187 هـ): هو أبو مسلم معاذ بن مسلم الهراء، لقب بالهراء لبيعه الثياب الهروية مولى محمد بن كعب القرظي، أقام بالكوفة واشتغل مع بن أخيه الرؤاسي بالنحو.[2]

لا تبدو في هذه الطبقة ملامح مدرسة الكوفة لأنهم أخذوا النحو عن البصرة، بالإضافة إلى أنّ الخلاف لم يتجلّ بين الكوفيين والبصريين في هذه الطبقة، فكان علمهم بالصرف والقرآن أقوى من علمهم بالنحو.

–الطبقة الثانية: من أشهر علماء هذه الطبقة الكسائي وهو المؤسس الحقيقي لمدرسة الكوفة.

---

[1] مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص 74.

[2] ينظر: صلاح رواي: النحو العربي، نشأته، تطوره، مدارسه ورجاله، ص 386-387

- الكسائي (ت 189 هـ): هو أبو الحسن علي بن حمزة مولى بن أسد، فارسي الأصل ،ولد بالكوفة سنة 119هـ، وانكب منذ نشأته على حلقات الهراء، ولزم حلقة حمزة بن حبيب الزيات، حتى حذق قراءته، وسمّي بالكسائي لأنه أحرم في كساء وكان فطنا ذكيا، ورحل إلى البادية فحفظ كثيرا من اللغة، وألف العديد من الكتب "كمعاني القرآن"، و"المختصر في النحو". [1]

تميزت هذه الطبقة بالبحث والتقصي، حيث خرج الكسائي إلى البادية ليسمع عن الأعراب مشافهة، «وأفنى في ذلك خمس عشرة دوات حبر»[2]، والتحايل في التحصيل المعرفي حيث توسّط بالأخفش ليقرأه كتاب "سيبويه" سرا، وكثرت المناظرات ،الخلافات والتأليفات.

-الطبقة الثالثة: من أشهر علمائها الأحمر، الفراء، الضرير، واللحياني.

«الأحمر (ت 194 هـ): هو أبو الحسن علي بن الحسن بن المبارك، وكان راوية للشعر وأيام العرب وكلامهم ،يقال أنه كان يحفظ أربعين ألف شاهد في النحو، من مؤلفاته: "التصريف"، و"تفنن البلغاء".

- الفراء (ت 207 هـ): هو أبو زكريا يحي بن زياد عبد الله بن مروان الديلمي...من أصل فارسي، ولد بالكوفة سنة 144هـ، ونشأ بها، لقب بالفراء لأنه كان يفري الكلام، درس اللغة والنحو على يد أبي جعفر الرؤاسي والكسائي، من مؤلفاته "معاني القرآن"، "ما تلحن فيه العامة"، "اللغات"، "المصادر في القرآن"، "الجمع والتثنية في القرآن"». [3]

---

[1] ينظر: علي النجدي ناصف: تاريخ النحو، دار المعارف، القاهرة، دط، دس، ص29.

[2] عبد الفتاح الحموز: الكوفيون في النحو والصرف والمنهج الوصفي المعاصر، دار عمار، الأردن، ط1، 1997م، ص13.

[3] إبراهيم عبود السامرائي: المفيد في المدارس النحوية، ص 95- 96- 97.

- «هشام الضرير (ت 209 هـ): هو أبو عبد الله هشام بن معاوية الضرير... قضى حياته مقصورا للتدريس والإملاء على الطلاب... ألف ثلاثة كتب هي: "الحدود"، "المختصر"،و" القياس"». [1]

- «اللحياني (ت 220 هـ): أبو الحسن علي بن المبارك من بني لحيان، أخذ عن الكسائي وغيره، وله كتاب "النوادر"».[2]

من سمات هذه الطبقة بداية التأليف في التصريف مستقلا عن النحو، وظهور المصطلحات الكوفية مقابلة للمصطلحات البصرية.

–الطبقة الرابعة: من أشهر علماء هذه الطبقة ابن سعدان، الطوال، وابن قادم.

– «ابن سعدان (ت 231 هـ): هو أبو جعفر محمد بن سعدان الضرير الكوفي النحوي، ولد سنة 161 هـ وكان ثقة يقرأ بقراءة حمزة، أخذ القراءات عن أهل مكة، المدينة، الكوفة، والبصرة، صنّف كتابين أحدهما في القراءات والآخر في العربية».[3]

- «الطوال (ت 243 هـ): هو أبو عبد الله محمد بن أحمد، نشأ بالكوفة، وسمع عن الكسائي وغيره.

---

[1] صلاح رواي: النحو العربي، نشأته، تطوره، مدارسه ورجاله، ص404.

[2] محمد الطنطاوي: نشأة النحو، وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، القاهرة، ط2، دس، ص117- 119.

[3] صلاح رواي: النحو العربي، نشأته، تطوره، مدارسه ورجاله، ص 406.

- ابن قادم (ت 251 هـ): هو أبو جعفر محمد بن عبد الله بن قادم، أخذ عن الفراء وحذق النحو وتعليله... من مؤلفاته:" الكافي"، "المختصر"».[1]

-الطبقة الخامسة: من أشهر أعلامها ثعلب.

«ثعلب (ت 291 هـ): هو أحمد بن يحي المعروف بثعلب، ولد سنة 200هـ، وهو من أئمة الكوفيين في النحو، من مؤلفاته: "مجالس ثعلب"، "الفصيح"، "قواعد الشعر"، "اختلاف النحويين"، و"حدّ النحو".

ومن تلامذته:

- أبو موسى الحامض: تولى التدريس بعد ثعلب.
- أبو عمرو الزاهد: اهتم باللغة وألف فيها: "الياقوت"، و"شرح الفصيح".
- أبو بكر بن مقسم: ركّز نشاطه في القراءات، وألف كتاب "السبعة الكبير".»[2]

من سمات هذه الطبقة تنوع المعارف والثقافات العامة في النحو، اللغة، القراءات، الشعر، والبلاغة.

من خلال ما سبق ذكره يتضح أن قلة علماء الكوفة أدى إلى وجود فارق زمني بين طبقات نحاتها، كما كان له تأثير على حركة التأليف.

---

[1] محمد الطنطاوي: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص120.

[2] صلاح رواي: النحو العربي، نشأته، تطوره، مدارسه ورجاله، ص410.

ب– مبادئها: بنت المدرسة الكوفية نحوها على ما أحكمته البصرة من أركان عامة للنحو، غير أنّها مع اعتمادها لتلك الأركان استطاعت أن تشقّ لنفسها مذهبا نحويا جديدا له طوابعه، أسسه، ومبادئه.

– التوسع في رواية الأشعار، والأخذ بلغة جميع العرب، بدويهم وحضريهم، فلم يحددوا لشواهدهم زمنا معينا يقفون عنده، وبذلك أجازوا الاحتجاج بالأشعار واللغات الشاذة.

– التوسع في القياس وضبط القواعد النحوية على ما جاء في هذا المسموع، ومخالفة الأقيسة التي وضعها البصريون، وقد جرّهم ذلك إلى القياس على الشاذ، والنادر دون تقيد بندرته وشذوذه.

وهذا ما أكّده القدماء في قولهم: «لو سمِع الكوفيون بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلا وبوّبوا عليه».

– ترك التأويل، والتقدير لانتفاء حاجتهم إليه، بعد أن وضعوا قياسا لكلّ ما اعتدوا بصحته من شواهد، استدركوا به على أقيسة البصريين.

– المخالفة في بعض المصطلحات النحوية، وما يتصل بها من العوامل، فقد قاموا بوضع مصطلحات جديدة ضمّوا فيها أبوابا من النحو عند البصريين، وسمّوها بأسماء جديدة. [1]

إذن فالكوفيون أقاموا مذهبا مستقلا له طوابعه، وخصائصه التي تميّزه عن المذهب البصري، وهو طابع الاتساع في الرواية والقياس، ثم طابع المخالفة في بعض المصطلحات النحوية، وما يتصل بها من عوامل، وبذلك كان الكوفيون أكثر حرية، وأشدّ احتراما لما ورد عن العرب.

---

[1] خديجة الحديثي: المدارس النحوية، دار الأمل، الأردن، ط3، 2001م، ص142-143.

4-3- الخلاف بين المدرستين:

شغلت الخلافات النحوية بين مدرستي البصرة والكوفة ،مساحة واسعة لدى علماء العربية القدماء والمحدثين فاختلفت الآراء بينهم، وتضاربت حول بداية الخلاف، فهناك من «نسب بدايته إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي وأبي جعفر الرؤاسي، حسب ما ذكره سيبويه في كتابه –"الكتاب"- بأن الخليل بن أحمد الفراهيدي كان يطلب من أبي جعفر الرؤاسي كتابه ليقرأه، وأنّ كل ما جاء في الكتاب مِن: «قال الكوفي يكون هو الرؤاسي»[1] لكن هذا لا يعتبر خلافا يعتد به بل كان مجرد وجهات نظر متبادلة بين العالمين.

أمّا آخرون فقد نسبوا الخلاف إلى الكسائي وسيبويه حتى قيل إن بداية الخلاف النحوي الواضح الذي أخذ طابع المنهجية والتنافس الشديد، وتمثيل وجهتي نظر البصريين والكوفيين كانت بدءا من عهد سيبويه والكسائي –الطبقة الرابعة البصرية والطبقة الثانية الكوفية- مجسّداً في المسألة الزنبورية.

ولشوقي ضيف رأي آخر حيث يقول: إنّ أبواب الخلاف النحوي فتحت على يد الأخفش تلميذ سيبويه وأعد لنشأة المدرسة الكوفية ،وغيرها من مدارس النحو المختلفة، حيث إنّه كان عالما بلغات العرب، وكان ثاقب الذهن، حادّ الذكاء، خالف أستاذه سيبويه في كثير من المسائل، وحمل عليه، وحمل عنه الكوفيون ومضوا يتسعون فيه فتكونت مدرستهم، وهو الذي فتح للفراء والكسائي أبواب الخلاف مع سيبويه والخليل على مصارعها وبذلك أعدّهما للخلاف عليهما، وتنمية هذا الخلاف بحيث نفذ إلى مذهبهما النحوي الجديد. [2]

---

[1] ابن الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تر محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، 1991م، ص51.

[2] ينظر: شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص95- 156.

وانطلاقا من هذا القول يتضح بأن الأخفش كان سببا في تطور الخلاف بعدما أراد أن ينتصر لأستاذه سيبويه الذي خسر أمام الكسائي.

غير أنّ الكثير من الكتب التراثية أثبتت أنّ الخلاف النحوي بين هاتين المدرستين لم يأت من العدم، وإنما كان أولا وقبل كل شيء مدفوعا بأسباب منها «العامل السياسي، الموقع الجغرافي، طريقة التفكير، العصبية القبلية والتنافس العلمي». [1]

وتتجلّى مظاهر الخلاف بين البصرة والكوفة في:

أ- الخلاف في المصطلح: سعت مدرسة الكوفة جاهدة إلى وضع مصطلحات خاصة بها تميزها عن مدرسة البصرة، فكان من بين هذه المصطلحات تسمية «الضمير المنفصل وهذا ما أشار إليه "ابن الأنباري" في كتابه "الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين" حيث تحدث عن المسألة المائة في تسمية الضمير المنفصل عند المدرستين فيقول: «ذهب الكوفيون إلى أنّ ما يفصل به بين النعت والخبر يسّمى "عمادا"، وله موضع من الإعراب، وذهب بعضهم إلى أنّ حكمه حكم ما قبله، وذهب بعضهم إلى أنّ حكمه حكم ما بعده وذهب البصريون إلى أنّه يسّمى "فصلا" ،لأنه يفصل بين النعت والخبر إذا كان الخبر مضارعا لنعت الاسم، ليخرج من المعنى النعت كقولك: زيدٌ هو العاقل، لا موضع له من الإعراب أمّا الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا إنّ حكمه حكم ما قبله، لأن التوكيد لما قبله فتنزل منزلة النفس إذا كان توكيدا، وكما أنك إذا قلت: جاءني زيد نفسه، كان نفسه تابعا لزيد في إعرابه فكذلك العماد، إذا قلت: زيد هو العاقل، يجب أن يكون تابعا في إعرابه

[1] عبد النبي محمد مصطفى هيبه جعفر: اختلاف النحاة ثماره وآثاره في الدرس النحوي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، قسم النحو والصرف واللغويات، كلية اللغة العربية، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 2009م/ 2010م، ص27-28.

وأمّا من ذهب إلى أنّ حكمه حكم ما بعد قال: لأنه ما بعد كالشيء الواحد، فوجب أن يكون حكمه بمثل حكمه، أمّا البصريون فاحتجوا بأن قالوا: إنّه لا موضع له من الإعراب، لأنه إنما دخل لمعنى وهو الفصل بين النعت والخبر، ولهذا سمي فصلا. كما تدخل الكاف للخطاب في ذلك وتلك وتثنى وتجمع...» [1]

وهناك الكثير من المصطلحات منها المكنى أو الكناية عند الكوفيين، والضمير عند البصريين، النسق عند الكوفيين، والعطف عند البصريين وغيرها.

ب- الخلاف في الجزئيات: من بين الخلافات التي نشبت بين مدرسة الكوفة والبصرة في الجزئيات، الاختلاف في أصل اشتقاق الاسم ، فالكوفيون ذهبوا إلى أنّ الاسم مشتق من الوسم وهو العلامة، والاسم وسم على المسّمى، فإذا قلنا زيد أو عمر دلّ على المسمى فصار كالوسم عليه، أما بالنسبة للبصريين فقالوا أنّه مشتق من السّمو، لأن السموّ في اللغة هو العلوّ، يقال: سَمَا يسْمُوا سمّوا إذا علَا، ولذلك سميت السّماء سماءًا لعلوّها. [2]

وقد كثرت الخلافات بين النحويين البصريين والكوفيين فيما يخص المسائل الجزئية.

ج- الخلاف في المنهج: اتجهت كل من البصرة والكوفة إلى منهج معين في دراستها وتقعيدها للنحو «فالبصريون تشدّدوا في الأخذ عن الفصحاء وهم سكان البوادي»[3]، ولم يستشهدوا بأشعار المولدين باعتبارها

---

[1] ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تح حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2007م، ج 2، ص213- 214.

[2] ينظر: إبراهيم عبود السامرائي: المفيد في المدارس النحوية، ص43.

[3] عبد النبي محمد مصطفى هيبة: اختلاف النحاة ثماره وآثاره في الدرس النحوي، ص50.

تحتمل اللحن، وقلة الفصاحة يقول تمام حسان: «كانت دراسة اللغة تدور في مبدأ الأمر على تلقي النصوص من أفواه الرواة، ومشافهة الأعراب، وفصحاء الحاضرة».[1]

أمّا الكوفيون فقد قبلوا كل ما جاء عن العرب حتى تلقّفوا الشواهد النادرة، سواء عرف قائلها أم لا، ويؤكد ذلك القاسم بن أحمد الأندلسي حين قال: «الكوفيون لو سمعوا بيتا واحدا فيه جواز الشيء مخالف للأصول جعلوه أصلا وبوّبوا عليه».[2]

اعتمد البصريون على القياس في استنباطهم الأحكام النحوية، وهذا معناه أنهم «يجعلون لكل شيء قاعدة مطردة بناءا على الأغلب الشائع من كلام العرب، ونشأ عن هذا المبدأ أمور منها أنهم أخذوا يخطئون بعض النصوص العربية، فإذا رأوا نصّا يخالف القواعد خطأوه، إضافة إلى الاضطرار إلى التأويل والتقدير والحذف عندما يخالف النص القاعدة التي وضعوها أو بنوها[3].

أمّا الكوفيون فقد توسّعوا في القياس فقاسوا على القليل والنادر والشائع والشاذ، وابتعدوا عن التأويل والتقدير، وقد قال "ابن جني" في كتابه "الخصائص" «أجاز أبو الحسن: ضربَ الضرب الشديد زيداً ودفعَ الدافعُ الذي يعرف إلى محمّدا دينارا، وقتلَ القتيلُ يوم الجمعة أخاك، ونحو هذه المسائل، ثم قال: جائز في القياس، وإن لم يرد به الاستعمال»،[4] وكان يقصد من هذا التوسع في القياس.

---

[1] تمام حسان: اللغة بين المعيارية والوصفية، دار عالم الكتب، مصر، ط4، 2001م، ص35.

[2] عبد الرحمن السيد: مدرسة البصرة النحوية نشأتها وتطورها، دار المعارف، القاهرة، دط، 1968م، ص145-146.

[3] ينظر: شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص162-163-164.

[4] ابن جني أبو الفتح عثمان: الخصائص، تح محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، دط، دت، ج1، ص189.

كما تأثر البصريون بالعقل والمنطق، فصاروا ينظرون في النصوص ويعملون العقل فيها، محاولين تفسير الظواهر النحوية بمقتضى العقل، ومثال ذلك الأحكام التي أصدروها عن العامل النحوي، وتعليل الأحكام النحوية كالنصب، الجر، والرفع... وغيرها.

أما الكوفيون فقد كانوا يميلون إلى وصف الظواهر اللغوية دون إعمال العقل فيها، ويتضح من خلال ما سبق ذكره أن البصرة كانت ذات منهج عقلي ،بينما الكوفة كانت ذات منهج ظاهري وصفي.

كان للتطور والازدهار الذي عرفته الدولة العباسية، الدور في استقطاب علماء الكوفة والبصرة إليها، وفي ظل وجود هاتين المدرستين نشأت المدرسة البغدادية ،كمدرسة موفقة بين هاذين المذهبين.

4-4- مدرسة بغداد:

اتّبع «نحاة بغداد في القرن الرابع الهجري نهجا جديدا في دراساتهم، ومصنفاتهم النحوية، يقوم على الانتخاب من آراء المدرستين البصرية والكوفية جميعا، وأهمّ ما هيّأ لهذا الاتجاه الجديد ،أنّ أوائل النحاة تتلمذوا للمبرد وثعلب، وبذلك نشأ جيل من النحاة يحمل آراء مدرستيهما». [1]

أ- أعلامها: انقسم علماء هذه المدرسة إلى ثلاث مجموعات:

[1] شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص245.

– بغداديون كوفيون:

«ابن كيسان: (ت 299هـ): هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان، ويعد أول أئمة المدرسة البغدادية... أخذ عن ثعلب والمبرد، من مؤلفاته:"الكافي في النحو"، "المختار في علل النحو"، "اختلاف البصريين والكوفيين"».[1]

«ابن شقير: (ت 317 هـ): أبو بكر أحمد بن الحسن بن العباس بن الفرج بن شقير ،أخذ عن علماء الكوفة والبصرة معا، من مؤلفاته:"المختصر في النحو" وكتاب "المقصور والممدود"».[2]

تميز ابن كيسان، وابن الخياط بميلهما إلى مذهب الكوفة فوضعا الاحتجاجات لآراء الكوفيين.

– بغداديون بصريون:

«الزجاجي: هو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق المشهور بالزجاجي، ولد بالصّيمرة، وتتلمذ على يد الزجاج، من مؤلفاته: "الزاهر"، "الإبدال"، "المعاقبة والنظائر"، "مجالس العلماء"، و"الأمالي"....

أبو علي الفارسي: هو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن أبان الفارسي النحوي، ولد سنة 288هـ، وتوفى سنة 377 هـ، تتلمذ على يد ابن السراج والزجاجي، وكان معتزلي المذهب، من مؤلفاته: "الإغفال"، "العوامل في النحو"، "المقصور والممدود"».[3]

---

[1] المرجع السابق، ص 248.

[2] صلاح رواي: النحو العربي، نشأته، تطوره، مدارسه ورجاله، ص454- 455.

[3] محمود حسني محمود: المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي، دار عمار، بيروت، ط1 ،1986م، ص210- 212-268.

وعليه فالزجاجي والفارسي كانا من أتباع المذهب البصري في توجههم النحوي.

– بغداديون:

«ابن الشجري: هو أبو السعادات، هبة الله بن علي بن محمد... بن عبد الله، ولد في بغداد سنة 450هـ وتوفي 542هـ ، من مؤلفاته: "الأمالي"»[1] أشتهر بمعرفته الواسعة لعلوم العربية ،وأشعار العرب.

«ابن الأنباري (ت327 هـ): هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسين الإمام أبو بكر بن الأنباري النحوي اللغوي، أخذ عن ثعلب، وكان أعلم الناس وأفضلهم في نحو الكوفيين، من مؤلفاته:" غريب الحديث"، "الأضداد"، "المذكر والمؤنث"، "الواضح في النحو"».[2]

تميز البغداديون بالاستقلال بآرائهم النحوية، المعبرة عن شخصيتهم.

4–5– عصر الانحطاط:

بعد سقوط الدولة العباسية على يد التتار عام 202هـ، وانقسامها إلى دويلات، عمّت الفوضى والاضطراب، وشعر أهل العلم أن البيئة أصبحت غير ملائمة للبحث، التنظير، والتصنيف، فتفرّقوا في مختلف الأقطار العربية، وأخذ كل عالم يجتهد ويعمل برأيه، ونظره مستقلا عن زملائه في الأقطار الأخرى، فكان لا يربطهم رابط سوى العمل على خدمة علم النحو، ورفعة شأن اللغة العربية، وجريا على عادة المنافسة بين ملوك هذه الدول التي ظهرت حديثا حول الخلافة العباسية، وعملاً على توطيد ملكِهِم على اختلاف أصولهم (فارسي

[1] المرجع السابق، ص296– 298.

[2] إبراهيم عبود السامرائي: المفيد في المدارس النحوية، ص141– 142.

تركي، عربي)، ولعلمهم بأنّ ازدهار العلم وشيوع المعرفة، وجدية البحث هي مرآة استقرار الدول وأمنها فقد اتجه الملوك والأمراء إلى مناظرة العلماء وإجزال العطاء لهم، وتقريبهم إليهم، دفعا لهم على مواصلة البحث وإخراج مكامن عقولهم، وإظهار مكنوناتهم وأفكارهم، وطرح ما تجود به قرائحهم، فكان لهذا التأثير وقع كبير عليهم فكثرت الآراء الفردية وتنوعت التعليلات النحوية، وتضخمت المؤلفات والمصنفات[1]، وتعددت المدارس بها كمدرسة «مصر والشام، والتي من أشهر علمائها "بن ولاد" (ت 322هـ)، "بن بابشاذ"(ت 469 هـ)، "بن هشام "(ت 761 هـ)، "بن عقيل" (ت 769 هـ) ،"خالد الأزهري" (ت 905 هـ) ،"السيوطي" (ت 911 هـ)، "الأشموني" (ت 929 هـ) وغيرهم، أما المدرسة الأندلسية والمغربية فمن أشهر علمائهما:" الزبيدي" (ت 379 هـ)، "الأعلم الشنتمري" (ت 472 هـ)، "بن السيد البطليوسي" (ت 592 هـ)، "الجزولي" (ت 605 هـ)، "بن خروف" (ت 610 هـ) ،"بن عصفور" (ت 669 هـ)، و"بن مالك" (ت 672 هـ)». [2]

ويتضح مما سبق ذكره أنّ المدرستين البغدادية والأندلسية قد أقامتا منهجهما على الانتخاب من آراء مدرستي البصرة والكوفة معا، مكونتان بذلك مذهبا متميّزا من حيث الأسس أو طرق الاستنتاج، إذ يظهر أن علماء هاتين المدرستين قد وجدوا أسس النحو ومصطلحاته وقواعده قد اتخذت شكلها النهائي على يدي علماء البصرة والكوفة، وبذلك رأوا أنه لم يبق أمامهم سوى الاستزادة في التعليلات والعناية بالتمثيل، وذكر نماذج التوفيق أو التجديد في الرأي.

---

[1] ينظر: صلاح رواي: النحو العربي، نشأته، تطوره، مدارسه ورجاله، ص482- 483.

[2] عبد الكريم مجاهد: علم اللسان العربي، فقه اللغة العربية، دار أسامة للنشر، عمان، الأردن، دط، 2009م، ص67- 68.

الفصل الأول

الدراسات اللغوية الحديثة والمنهج الوصفي

توطئة

المبحث الأول: الدراسات اللغوية ما قبل الوصفية

1- الفيلولوجيا التاريخية

2- الفيلولوجيا المقارنة

3- النحاة الجدد

المبحث الثاني: الدراسات اللغوية الوصفية

1- اللسانيات

2- سوسير حياته وأعماله

3- المنهج الوصفي البنيوي

- توطئة:

في الوقت الذي كان فيه الفكر اللغوي العربي يمر بمرحلة انحطاط وجمود ثقافي ،أثّر وبشكل كبير على الإنتاج الأدبي، في المقابل كانت أوروبا في القرون الوسطى تشهد العديد من التغيّرات والتطوّرات، سواء على المستوى العلمي أو المستوى الحضاري، فكان من بين أكبر هذه التغيرات، ماذكره روبنز في كتابه "موجز تاريخ علم اللغة في الغرب" مشيرا إلى تفكك الإمبراطورية الرومانية وسقوطها مقسما نتائجها إلى مرحلتين:

-المرحلة الأولى:

سمّيت بالعصور المظلمة نظرا للجمود الفكري وتوقف الأنشطة، وانتشار اللغة اللاتينية على حساب الإغريقية، حيث أصبحت اللاتينية هي اللغة الرسمية التي يدّرس بها، وتكتب بها المؤلفات، وفي ظل هذه الاضطرابات وجدت بعض المحاولات للباحثين، أمثال الباحث الروماني "بويثيوس" Boethius الذي قسم العلوم إلى قسمين:

فالقسم الأول: سمي بالثلاثية Trivium، ويضم النحو، البلاغة، والمنطق، والقسم الثاني سمي بالرباعية Quadrivium، ويشمل الحساب، الهندسة، الموسيقى، والفلك.[1] كما بدأ الإهتمام بشرح العلوم، وجمعها وتلخيصها، فالتزم النحاة بتطبيق القواعد والنظريات التي توصل إليها علماء الإغريق.

[1] ينظر: روبنز: موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، تر أحمد عوض، دار عالم المعرفة، الكويت، دط، 1978م، ص 110-111.

– المرحلة الثانية:

وهي الأكثر أهمية نظرا لظهور «"الفلسفة السكولاستية" Scholasticism، وهي فلسفة بنيت على مبادئ نظرية ومنطلقات أرسطو الفكرية، فكان هدفها إخضاع الفلسفة، وكل العلوم الأخرى للاّهوت الكاثوليكي ومن أشهر مفكريها القديس "توماس الإكويني" thomas Aquinas، الذي حاول إقامة صلة عقلانية وثيقة بين العقل والدين لتدعيم العقيدة المسيحية، كما تأثر نحاة هذه المرحلة بكل ما جاء به كل من "بريشيان" prician، و"دوناطوس" donatus وغيرهم، فألفوا العديد من الكتب القيمة التي غلبت عليها النزعة التعليمية ،ككتاب النحو اللاّتيني بعنوان " Doctrinal puerorum"، "وألكسندر دي فيلاداي" Alexander de villa dei، وكتاب "دانتي" dante الإيطالي بعنوان " De vulgari eloquentia" ،تناول فيه اللهجات الايطالية آنداك والعلاقات القائمة بينها».[1]

وخلاصة القول فإنّ العصور الوسطى أحرزت بعض التقدم في الدراسات النحوية، بالرغم من أنها كانت تندرج ضمن نظرية فلسفية معرفية، إلّا أنها سرعان ما ابتعدت في آخر المطاف عن التأمل الكلاسيكي، وانكبت على دراسة الآداب متخذة مجرا مغايرا في رؤيتها ومفهومها للنحو.

وهذا ما يمكن ملاحظته في تصريح "سيجر دي كورثري" Siger de courtrai في قوله: «إنّ النحو هو علم اللغة، وإنّ ميدان دراسته هو الجملة وتغيراتها، وإنّ هدفه هو التعبير عن مفاهيم العقل في جمل محكمة البناء».[2]

---

[1] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 30.

[2] نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، د ط، دس، ص 51.

يتبين من قول "دي كورثري" أنه لا يفرق بين النحو و علم اللغة،وأنّ مجال دراسة النحو هو الجملة باعتبارها النواة الرئيسية في التراكيب النحوية.

وإلى جانب القرون الوسطى نجد عصر النهضة، الذي ربطه العلماء بتلك الفترة «الانتقالية التي حدثت في أوروبا، أي منذ القرن الرابع عشر إلى القرن السابع عشر ميلادي، والثابت لدى المؤرخين أنّ هذه الحركة قد انبعثت من إيطاليا مهد الحضارة الرومانية،نتيجةً لما أحدثته نظرية "دانتي" في وصفه للغة الإيطالية »[1] وبعد ذلك

انتشرت هذه الحركة بسرعة كبيرة في باقي الدول الأوروبية، صاحبة معها ازدهارًا كبيرا في مختلف العلوم والفنون، فظهرت مفاهيم كلاسيكية سمَت الدراسات اللغوية في هذا العصر باسم "لسانيات النهضة" linguistics renaissance نظرا لعنايتها باللغة، وكل ما يتّصل بها من إحياء اللهجات الأوروبية المتنامية واكتشاف لهجات جديدة، إصلاح الأنظمة والاهتمام بمختلف الآداب، فتخلوا بذلك عن الفلسفة السكولاستية، ونبذوا اللغة اللاتينية المستخدمة في المدارس، وبدأ يظهر توجه علماء النهضة المغاير للقرون الوسطى في مختلف الدراسات، وألفوا كتبا في اللغات الأجنبية، منها مؤلف "بارسفال" percyval في اللغة الإسبانية ومؤلف "بالسغراف" John palsgrave الموسوم بـ " Eclarcissement de la langue francoyze".

وقد مثّلت مدرسة "بور رويال" port royal هذا العصر أحسن تمثيل، حيث لفتت الانتباه إلى تأثر أصحابها بالمذهب العقلي، الذي كانوا يرون فيه مصدر كل معرفة، فكان هدفهم من ذلك بناء نحو عام وعقلي يقول ليونز بهذا الخصوص «أن يثبت أن بنية اللغة من نتائج العقل، وأنّ اللغات البشرية المختلفة ما هي إلّا أنماط تشعبت عن المنطق العام ونظام عقلاني واحد».

[1] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 46- 47.

كما ألفوا كتاب "النحو العام وأسبابه" سنة 1660م، والذي عكس بوضوح الأفكار التي تبنوها، وفي المقابل نجد أنصار المذهب التجريبي الذي ظهر كرد فعل على الأفكار العقلية من جهة ،ومحاكاة لنظرية علمية جديدة مبنية على الملاحظة والاستقراء في وضع كل لغة، ومن نتائج هذا الصراع غياب منهج مستقر يخدم الدراسات اللغوية.[1]

تميّز عصر النهضة بوجود تيارين مختلفين،فالأول عقلي هدف إلى وضع القواعد معتبرا إياها مصدر كلّ معرفة ،والثاني تجريبي سعى إلى تخليص الدراسات من العقل والمنطق من خلال اخضاعها للملاحظة والاستقراء.

وعليه فإن عصر النهضة طرح ثلاث قضايا مهمة وهي «تأسيس وتطوير اللغات الوطنية، مقارنة اللغات المختلفة من حيث المستوى العالمي، وإعادة النظر في التراث اللساني القديم للقرون الوسطى».[2]

وانطلاقا مما سبق ذكره يتضح أنّ الدراسات اللغوية في عصري – النهضة والقرون الوسطى– كانت بمثابة السبيل الذي مهد إلى ما يعرف باللسانيات التاريخية والمقارنة.

---

[1] ينظر: المرجع السابق، ص48– 49– 50.

[2] فتيحة قنيش: تاريخ الدراسات اللسانية، دار القدس العربي، الجزائر، د ط، 2013م، ص 37.

المبحث الأول: الدراسات اللغوية ما قبل الوصفية

1- "الفيلولوجيا التاريخية" Historical Philology:

تعرف الدراسات اللغوية التي ظهرت في أوروبا أثناء القرن التاسع عشر ميلادي بـ "اللسانيات التاريخية" «Historical linguistiques أو "الفيلولوجيا" philology»، وتختلف هذه الدراسات من حيث المنهج والتصور ،عن الدراسات التقليدية التي دامت عدة قرون من العصور القديمة إلى عصر النهضة ومطلع الحديث وعن اللسانيات الحديثة التي ظهرت في أوائل القرن العشرين»[1]، ولأنّ بعض البحوث من هذا النوع برزت قبل هذا القرن بقليل كما سبق ذكرها ،فكانت في كثير من الأحيان مبعثرة، و غير منتظمة ولا تتوفر فيها المقاييس العلمية والمبادئ المنهجية،كما أنّ بداية هذه الدراسات كانت عبارة عن محاولات لبعض العلماء أمثال «"دانتي" Dante، الذي أثار بحثه في العلاقات التاريخية بين بعض المجموعات اللغوية اهتماما ملحوظا من قبل اللغويين الذين أتوا بعده»[2]، فعدّت هذه الجهود بمثابة الحلقة الأولى لانطلاق هذه الدراسات، وجاء «"مصطلح اللسانيات التاريخية" مرتبطا بدلالته ككلمة، وبمعناه الذي يحمله؛ أي دراسة اللغة الواحدة من خلال تطوّرها عبر المراحل المختلفة، منذ النشأة إلى الوقت الحاضر، لمعرفة تاريخها وأسباب تغيراتها الصوتية، المعجمية النحوية والدلالية، وأطلق سوسير على هذا الضرب من الدراسة إسم "اللسانيات التطورية" linguistique diachronique مستلهما هذا المصطلح من اللغة اللاتينية، إذ السابقة dia تعني عبر، والجذر cronas يعني الزمن، وهكذا يكون المعنى الكامل دراسة اللغة عبر الزمن.

---

[1] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 63.

[2] عبد الرحمان الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث، مجلة اللسانيات، العدد رقم 1، الجزائر، يناير، 1972م، ص 67.

وقد شبّه العلماء الدراسة التطورية بعلم الجيولوجيا، فاعتقدوا أنّ المنهج الصحيح والوحيد الذي يجب إتباعه في دراسة الظواهر اللغوية ،هو ذلك الذي يقدمه المؤرخ معتمدا فيه على معطيات لغوية قديمة، ومستعينا في تحرياته بـ"علم النقوش" Epigraphiy ، و"علم الوثائق" paléography » [1].

ومنه فالمنهج التاريخي، هو المنهج المناسب لهذه الدراسة ،لأنه يهدف إلى معرفة جميع التطورات في اللغة من خلال تاريخها؛ أي دراسة اللغة وتتبع الظاهرة اللغوية في ماضيها وحاضرها، سعيا وراء تفسير مقنع لما قد يطرأ عليها من تغيرات، ورغبة في اكتشاف القوانين التي تحكمها، يقول رمضان عبد التواب في هذا الصدد «فالمنهج التاريخي في الدرس اللغوي عبارة عن تتبع أية ظاهرة لغوية في لغة ما، حتّى أقدم عصورها التي تملك منها وثائقا ونصوصا لغوية، أي أنّه عبارة عن بحث التطور اللغوي في لغة ما عبر القرون»[2]؛ فهو يعنى بتتبع التغيرات والتحولات التي تطرأ على بنية اللغة وتوزيعها على شكل لهجات، آخذًا بعين الاعتبار تحول اللهجة الواحدة إلى لغة عامة بين أبناء الجماعة اللغوية، وتحول اللغة من الممارسة الضيقة في مجتمع واحد إلى لغة عالمية، بالإضافة إلى دراسة الجوانب الازدواجية للغة ومستوياتها عبر النظام التركيبي، التحويلي، البنائي، والتأصيل المفرداتي، ولم يكتف هذا المنهج بدراسة اللغة فقط، بل تعداها إلى عوامل الانحصار اللغوي، وتسجيل العوامل الخارجية المؤثرة في اللغة من خلال الاعتماد على المخطوطات، النقوش، واللغة المكتوبة لاعتقاده أن اللغة المنطوقة لا تمثل إلّا صورة مضللة تحجب الحقائق العلمية في حين اللغة المكتوبة تكشف عنها.[3]

---

[1] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص63.

[2] رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1997م، ص 197 .

[3] ينظر: عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة نظم التحكم وقواعد البنيات، دار صفاء للنشر، عمان، ط 1، 2002م، ص 129، 130.

إذا فالمنهج التاريخي يهتم برصد التطورات التي تحدث للغة عبر المراحل الزمنية المختلفة، دون الاهتمام بالبنية الداخلية للغة والعوامل المؤثرة عليها.

2- "الفيلولوجيا المقارنة" Comparative philology:

نشأت اللسانيات المقارنة متداخلة مع اللسانيات التاريخية، ولهذا كان يطلق عليها «بالفيلولوجيا المقارنة comparative philology، لأنّ العينات اللغوية كانت تستخرج من الأشكال المنقوشة أو الوثائق المكتوبة، ويهدف هذا العلم إلى مقارنة لغتين أو أكثر على المستوى الصوتي، المفرداتي، والنحوي، بغية الوصول إلى الأصول المشتركة، وإعادة بناء اللغة الأولى في الأسرة الواحدة، وتصنيف جميع اللغات، هذا وتعتبر اللسانيات المقارنة علما تفسيريا بالدرجة الأولى، لأنها تبتغي تفسير الظواهر التي تكمن وراء أوجه الشبه والاختلاف في اللغات المدروسة»[1] وكثيرا ما ينسب الفضل إلى "وليام جونز" william jones في وضعه هذا العلم ،من خلال خطابه الذي ألقاه على مسامع أعضاء الجمعية الملكية الآسيوية في كلكوثا بالهند سنة 1786 م، ويتضمن هذا الخطاب إبراز أهمية اللغة الستسكريتية باعتبارها أقدم اللغات وأغناها، حيث فضّلها على اللغتين الإغريقية واللاتينية، وذلك بعدما اكتشف قرابتها وصلتها بتلك اللغات.[2] ولكن هذا لا يعني أنّه من قام بوضع منهج بحث للسانيات المقارنة والتاريخية.

وقد خضعت الدراسات المطروحة ضمن اللسانيات المقارنة للمنهج المقارن The comparative method الذي من مبادئه وأسسه ما يلي:

---

[1] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 64.

[2] ينظر: أحمد محمد قدور : مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط3، 2001م، ص 17-18.

مقارنة اللغات من أجل بيان القرابة بينها مثل اللغات الهندوأوروبية، وعقد موازنة بين اللغات والكائنات الحية، من خلال التتبع التاريخي الدقيق لها، والاهتمام بتقنين التطور وتعليله، وانتقاء الوحدات اللغوية القديمة ومقارنتها، واستخراج الصيغ الأكثر قِدما وعدّها أصلا مشتركا بين بقية الوحدات، وإذا ما وجد المقارن تماثلا جليا بين هذه الصّيغ فإنه لا محالة يتأكد من أنها قد انحدرت من لغة أم واحدة، وبما أنّ التماثل قد يكون في بعض الأحيان نتيجة الافتراض فعلى الباحث أن يكون أكثر احترازا، لكي لا يقع في الملابسات التي من شأنها أن تفرض دعائم هذا العلم.[1]

يتجلّى ممّا سبق أن الهدف الأول للسانيات المقارنة هو مقارنة اللغات بغية الوصول إلى اللغة الأم التي انحدرت منها.

وقد ضرب "ميبه" Meillet مثالا على ذلك فقال:«إنّ اللغة تصدر عن تغيرات في عناصر موجودة لا عن خلق جديد، فمن يريد أن يضع اسما لشيء جديد يستعير عادة عناصر كلمة من لغته أو من لغة أجنبية وذلك كاللفظة الألمانية "Fermes precher" (الهاتف)، مأخوذة من "Ferme" (بعيدا)، و"precher (متحدث)، إذا فالأمر ليس أمر خلق خالص....»[2]. وهو يعني أنّ لكل لغة مفرداتها التي تعبر عن نظامها العام وأمّا المفردات الجديدة فهي لا تخلق من العدم، وإنّما هي في الحقيقة استعارات من اللغة نفسها أو من لغات أخرى، ولم يكتف بعضهم بالمقارنة بين اللغات التي تنتمي إلى أسرة لغوية واحدة، بل ذهبوا إلى المقارنة بين أسرتين لغويتين، على نحو ما فعل "مولر" Muller في كتابه "اللغات السامية والهندية الجرمانية الأوروبية" بغية الوصول إلى اللغة السامية الأم، ومن ثمّ أردوا الكشف عن أصل كل لغة، والأسرة اللغوية التي تنتمي إليها عن طريق التشابه

---

[1] ينظر: عبد الرحمان الحاج صالح: بحوث ودراسات في علم اللسان، دار موفم للنشر، الجزائر، دط، 2012م، ص120-121.

[2] عبد المجيد مجاهد: علم اللسان العربي، الشركة العربية المتحدة، القاهرة، دط، 2009م، ص 381.

في البنى الصرفية، والتراكيب النحوية، غير معتمدين على المفردات في إثبات القرابة بين اللغات، والتوافق النحوي في نظرهم هو أقوى دلالة على القرابة ،لأنّ اللغة التي تمتزج بغيرها لا تقتبس إلا نادرا تحولات الصرف والإعراب وقد لا تقتسبها مطلقا، بينما كان هدف الآخرين، سبر أغوار الفكر الإنساني باعتبار اللغة وسيلة للتعبير عن الروح القومية، وليس تنوع اللغات إلاّ دليلا على تنوع العقليات، وإنّ تفوق البنية اللغوية دليل على تفوق الذهنية والعرق.[1]

ومنه فقد حاول هؤلاء العلماء من خلال الأهداف التي سطروا لها، أن يجعلوا من المنهج المقارن ذو صلة وثيقة بتاريخ اللغات والحضارات.

حظيت اللسانيات التاريخية والمقارنة باهتمام كبير من قبل العديد من علماء القرن 19م، فتشعّبت الآراء والأفكار، واتسعت دائرة النقاشات بينهم، ومن أشهر هؤلاء:

- «"وليام جونز" william jones (1746- 1794): وهو أول من اكتشف العلاقة بين اللغة الهندية القديمة واللغات الأخرى»[2]، غير أنّ ما قدّمه هذا العالم أعتبر مجرد اقتراح لا غير، فقد سبقه بعض العلماء إلى الإشارة إلى هذه العلاقة.

- «"فرانز بوب" Franz Bopp (1791-1867): لقب بالمؤسس الحقيقي لعلم اللغة المقارن من خلال كتابه "نظام التصريف في اللغة الستسكريتية"»[3]، والذي قارن فيه بين اللغة الستسكرتية واللغات الأخرى.

---

[1] ينظر: المرجع السابق، ص 379.

[2] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 61.

[3] صادق يوسف الدباس: دراسات في علم اللغة الحديث، دراسة أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2012م، ص 165.

- "أوغست شلايشر" August schleicher(1821- 1886): وهو أهم شخصية ظهرت في علم اللسانيات، وعرف بنظرية الأسرة اللغوية، وعنايته باللغات الحية، تأثر بنظرية داروين وتوصل إلى وضع نموذج لشجرة الأنساب اللغوية.[1] وتضمن هذا النموذج تصنيفا للغات الأصلية و الفرعية.

- "جاكوب غريم" Jacob grimm (1785- 1863): يعدّ أول من كتب البحث المنهجي للنحو المقارن في كتاب نشره سنة 1816 بعنوان "نحو الجرمانية"، عالج فيه المسائل النحوية للغة الجرمانية، ومن أهم إنجازاته اللغوية "قانون غريم" Lais de grimm .[2] ويقوم هذا القانون بتتبع التغيرات التي تطرأ على الأصوات ورصد تطوراتها التاريخية.

- «"فرديريك شليجل" F.Schlegel (1785-1863): درس هذا العالم بفرنسا عام 1803م، وتأثر بالدراسات المقارنة في مجالات مختلفة، ومن آرائه اعتبار أنّ اللغات تنحدر من أسرة لغوية واحدة هي الأسرة الهندوأوروبية»[3] لكن أفكاره افتقرت إلى الموضوعية و انحصرت ضمن النزعة العرفية.

- "فيلهم فون همبولدت" wilhelm von Humboldt (1761-1835) :وهو مفكر ألماني وباحث لغوي تميز بعمقه وأصالته في بحث المسائل اللغوية، ألف كتاب "التنوع أو الإختلاف في البناء اللغوي الإنساني" والذي أثر في العديد من العلماء مثل فونت، بواز، سابير، روف....إلخ.[4]

---

[1] ينظر: عبد القادر الراجحي: مبادئ في علم اللسانيات الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د ط، 2002م، ص 41.

[2] ينظر: مصطفى الغلفان: في اللسانيات العامة تاريخها ،طبيعتها ،موضوعها ومفاهيمها، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط1، 2010 م، ص 152، 153.

[3] نعمان بوقرة : المدارس اللسانية المعاصرة، ص 60.

[4] ينظر: جرهارد هلبش: تاريخ علم اللغة الحديث، تر سعيد حسن البحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2013م، ص 17.

إنّ ما قدّمه هؤلاء العلماء من أفكار و آراء ساهمت وبشكل كبير في ظهور العديد من النظريات التي اهتمت بقضية التغير اللغوي، ودعت إلى دراسة اللغة ضمن العلوم الطبيعية، ومن بين هذه النظريات «نظرية رؤية العالم لهمبولدت، والنظرية الطبيعية البيولوجية لأوغست شلايشر، بالإضافة إلى نظريات أخرى كنظرية الشهرة الإجتماعية، نظرية الذوق، نظرية الأمواج، والنظرية السيكولوجية»[1] وغيرها.

وإذا ما قورنت هذه النظريات بما سبقتها من الدراسات اللغوية القديمة، فإنّ أول ما يلاحظ على هذه النظريات أنّها حاولت أن تنظر إلى اللغة نظرة مختلفة، بحيث وضعتها تحت الدراسة الواقعية دون إقامة أية افتراضات فلسفية ومنطقية.

3- النحاة الجدد Neogrammarians:

ظهر في «سبعينات القرن الماضي في أوروبا، وتحديدا بألمانيا جماعة من الباحثين اللغويين الذين نقدوا اللغويين التقليديين، ونظرياتهم نقدا حادّا أمثال "جاكوب غريم"، "فرانز بوب"، و"أوغست شلايشر"، وبسبب هذا النقد الحاد أطلق ممثلوا الجيل القديم من اللسانين عليهم إسم "القواعديين الشباب" إستهانة بهم وبأفكارهم، وسمّيت مدرستهم أيضا بمدرسة "لايبزيج" school Leipzig.[2]

وقد سارت هذه المدرسة على جملة من المبادئ والأسس أهمها:

- إعطاء الأهمية البالغة للعوامل المفسّرة للتطور، لاسيما العامل النفسي، وذلك بالكشف عن مظاهر العلاقة المباشرة بين تطور الثقافة وتطور العامل الداخلي للإنسان.

---

[1] الطيب دبة: اللسانيات البنيوية، دراسة تحليلية إيستمولوجية، دار القصبة، الجزائر، د ط، 2001م، ص 36- 37.

[2] ينظر: ميلكا إفيتش: اتجاهات البحث اللساني، تر سعد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، دب، ط2، 2000م، ص 89.

- التأكيد على أهمية العمليات الكلامية باعتبار اللغة الجماعية كيانا نفسيا لا وجود واقعي له، والحقيقة اللغوية الوحيدة الممكن الإمساك بها هي لغة الفرد.

- إعطاء الجانب الفيزيولوجي أهمية في التطور بالنظر إلى ميل المتكلم الطبيعي لبذل أقل مجهود، وبطريقة لا شعورية.

- اعتماد مبدأ القياس أساسا في تطور ودراسة اللغة، وعلم الأصوات وعلم اللهجات، فالقياس بالنسبة لهم حالة سيكولوجية تمكن من حمل مجموعة من الصيغ الممكنة على صيغ أخرى موجودة ومحققة فعلا.[1] ويتضح من هذا أن النحاة الجدد قد ركزوا على العامل النفسي في تفسير الظواهر اللغوية.

- اكتشافهم لمبدأ الاطراد (الانتظام) في القواعد التي تحكم التغيير في الظواهر الصوتية، فالأصوات تتغير وفقا لقوانين ثابتة لا تعرف الشذوذ، وهذا ما ذهب إليه كلا من "أوستوف" Ostoff، وَ "بروغمان"Brugman في مقال علمي والذي ينص على «أنّ كل التغيرات الصوتية بوصفها عمليات ميكانيكية تحدث في اللغة الواحدة طبق قوانين لا تقبل الإستثناء، إذ يتطور الصوت نفسه في المحيط نفسه بالطريقة نفسها». [2]

ويعني هذا أنّ التغيرات الصوتية تحكمها قوانين ثابتة داخل اللغة الواحدة.

- إعادة النظر في تاريخ نشأة اللغة وأطوار نموّها ومراحل تطوّرها، متأثّرين إلى حدّ ما وبطريقة غير مباشرة بالنظرية الداروينية، ومقيدين بالنظرة الوضعية في دراستهم للوقائع الصوتية للغة، فشبّهوا بذلك اللغات بأنواع الكائنات الحية التي تتطور تطورا يتماشى مع القوانين المضبوطة، أما الحالات الشاذة فأوجدوا لها تخريجات خاصة.

---

[1] ينظر: مصطفى الغلفان: في اللسانيات العامة، تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، ص 174- 175.

[2] روبنز: موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ص 263- 264.

وعليه فهم فتحوا الطريق أمام اللسانيات العامة للإنكباب على دراسة اللهجات، كما أبعدوا في دراسة اللغة كل «الممارسات الميثولوجية والعاطفية، التي لا تستند إلى أسس علمية مضبوطة ضبطا آليا، فاللغة عندهم جهاز خاضع للتحولات، والتغيرات التاريخية».[1]

ومن ثمّ فإن النحاة الجدد تأثروا ببعض النظريات السابقة كنظرية داروين، وهم أوّل من دعى إلى دراسة اللهجات، والوقائع الصوتية للغة، بعيدا عن كل العوامل و المؤثرات الخارجية.

- إعتمادهم المنهج التاريخي، والذي جعلوه المحور الأساسي المحرك لكل تحليلاتهم اللغوية، وبذلك سقطوا في التاريخانية المفرطة، غدت معها نظرتهم إلى اللغة نظرة آلية في نهاية الأمر، إذ جزءوا اللغة إلى وحدات، وقضايا بسيطة مستقلة بعضها عن بعض، وتمت دراستها بمعزل عن المحيط بكل ملابساته.[2]

وذهب النحاة المحدثون إلى أنّ اللسانيات يجب أن تكون تفسيرية، فلا يكفي إثبات تغيراتها ووصفها فحسب، بل لابد من إيجاد عللها كذلك، وإنّ هذا التفسير يجب أن يكون من نمط إيجابي، فهم مصرّون على التمسّك بالمنهج العلمي الاستقرائي في تلك التعليلات الفلسفية الواسعة، بل إنّ العلل الوحيدة الحقيقية هي تلك التي يبحث عنها في نشاط المتكلمين الذين يطوّرون اللغة عن طريق استعمالها، ومن أهمّ أنواع العلل التي يعمل بها النحاة:

- العلل التي تعود إلى الانتظام النطقي، وهو ما يكشف عنه داخل القوانين الصوتية المطّردة التي تعتمد على التفسير الفيزيولوجي.

---

[1] أحمد يوسف: النحاة الجدد وميلاد اللسانيات التاريخية، مجلة عالم الفكر، العدد رقم 2، الكويت، أكتوبر، 2005م، ص 250، 251.

[2] ينظر: مصطفى الغلفان: في اللسانيات العامة، تاريخها، طبيعتها، موضوعها ومفاهيمها، ص 174.

– العلل التي تقوم على مبدأ المماثلة المبنية على قوانين الترابط بين الأفكار، وهذا النمط من العلل يعتمد على التفسير النفساني.

كما التزم النحاة الجدد بتفضيلهم دراسة التغيرات التي تمتد عبر مدّة زمنية محددة، بدلا من مقارنة حالات متباعدة في لغة ما.[1]

ومن أشهر ممثلي هذه المدرسة: «"بروغمان" Brugman ألّف عدّة كتب منها"حول وضعية اللسانيات الحالية" 1885م، و "دلبروك" Delbruk له كتاب بعنوان "موجز النحو المقارن في اللغات الهندوأوروبية"، أما "لسكين" A .leskien فقد كان أستاذا محاضرا منذ 1870م، وتخصص في اللغات البلطية السلافية، ويعرفه الباحثون بمقولته الشهيرة "لاستثناء للقوانين الصوتية"، و"أوستوف" Ostoff، و"أسكولي" Ascoli، و"هرمان بول" paul Hermman»[2] الذي اهتم بدراسة العوامل النفسية والاجتماعية معتبرا إيّاها من أهم العوامل المؤثرة على التطور اللغوي، فاللغة عنده ملك للمجتمع كلّه، وكلّ فرد في هذا المجتمع له الدور في بناء لغة جماعية من خلال أفعاله الكلامية والتي تميز لغته هذه عن باقي اللغات الأخرى أو المجتمعات[3]، وهذا التمييز لا يحدث حسب بول إلاّ بواسطة العامل النفسي الذي يكون مرتبطا بهذا الفرد.

أمّا «"بروكلمان" فقد أخضع اللغة للقوانين الصوتية الذي رأى بأنها العلاج الوحيد للكثير من العقبات التي تعتري طريق اللغة»[4]، ومؤكّدا على أنّ التحولات الصوتية طور من أطوار التاريخ اللغوي.

---

[1] ينظر: الطيب دبة: اللسانيات البنيوية، دراسة تحليلية ابستمولوجية، ص 40.

[2] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 94.

[3] ينظر: ميلكا افيتش: اتجاهات البحث اللساني، ص 86، 87.

[4] أحمد يوسف: النحاة الجدد وميلاد اللسانيات التاريخية، ص255

وفي ظل كلّ هذه الأفكار التي سطرتها مدرسة ليبزيج، إلاّ أنّها لم تسلم من الإنتقادات الموجهة إليها من عدة جهات وأطراف، ومن هؤلاء المثاليين المتأثرين بنظرية "هامبولت"، و"كروتشه"، حيث آخذوهم على غلوّهم في النظر إلى اللغة نظرة آلية، وابتعادهم عن النظرة الفنية للغة، وفي سياق آخر انتقد «"هيغوشواردت" Hugoshuchardt آراء النحاة الجدد المتعلقة بطبيعة تطور الأصوات والقوانين المتحكمة فيها، حيث أرجع هذا التطور إلى مساهمة الفرد من خلال علاقاته الاجتماعية التي يقوم بها، آخذ على النحاة الجدد عدم الإتيان بنظرية جديدة، وأن جلّ آرائهم عبارة عن صياغة نقدية لآراء أسلافهم المقارنين».[1] نظر "هيغو شوشاردت" إلى الأفكار التي قدمها النحاة الجدد نظرة سلبية لأنّهم لم يقدّموا شيئا جديدا في مجال دراساتهم.

كما أنّ اهتمامهم «بالتفاصيل والجزئيات المتعلقة باللغات خلال جميع مراحل تطورها هو ما جعل تحليلهم اللغوي تحليلا ذريّا، حوّلوا من خلاله ظواهر اللغة إلى ذرات لا يمكن الوقوف على الصورة الكاملة للبنية اللغوية حيث لا وجود لشيء قائم بذاته، وإنّما يوجد متّحدا مع الأجزاء الأخرى المكونة للكل».[2]

ولعلّ من أكثر العيوب التي انتقد عليها النحاة الجدد، هو مبالغتهم في استخدام المنهج التاريخي في دراسة التبدلات الصوتية، ووضع قوانين صارمة لتفسيرها، والتي أولتها لسانيات دوسوسير اهتماما كبيرا.

بالرغم من الانتقادات التي وجهت للنحاة الجدد إلّا أنّهم تركوا بصماتهم في البحث اللغوي الحديث، كما ساهموا في تهيئ الجو العام للسانيات أكثر علمية ودقة، فهم نقلوا الدرس اللغوي من التفكير التأملي إلى التفكير العلمي، وقد شهد لهم سوسير بذلك حينما اعتبرهم خطوة حاسمة في تاريخ الفكري اللغوي.

---

[1] المرجع السابق: ص 270.

[2] ميلكا إفيتش: اتجاهات البحث اللساني، ص 65.

وفي هذا الإطار المتخم بالفكر التاريخي، وبشتى أنواع التيارات الفكرية، والنزعات العلمية، بدأت ملامح اللسانيات الجديدة تظهر من خلال الأعمال التي قدمها اللغوي الشهير فرديناند سوسير في القرن العشرين.

هذا ولقد كان اتصال العرب بالمستشرقين الألمان، السبب في انتقال التفكير الفونولوجي إلى البلاد العربية والتأثر بالمنهج التاريخي المقارن، وقد ظهر هذا التأثر بصورة واضحة في أعمال العديد من الباحثين أمثال«"عبد الواحد الوافي" في كتابه"فقه اللغة"، و"جورجي زيدان" في كتابه" اللغة العربية كائن حي"، والذي بدى فيه متأثرا بالنزعة الداروينية التي سادت في القرن 19م، كما حاول البحث عن أصول العربية ونشأتها، وذلك من خلال عقد مقارنة بينها وبين اللغات السّامية، أمّا كتابه "الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية" فقد ضمنه بعض الملاحظات اللغوية، في حين أنّ رفاعة الطهطاوي قد انصرف إلى عقد مقارنة بين اللغة العربية وغيرها من اللغات الأخرى.[1]

وممّا لاشك فيه أن جلّ البحوث العربية في هذه الفترة قد غلبت عليها النزعة التاريخية والمقارنة، وإن كانت هذه النزعة قد ظهرت وبصورة غير واضحة.

[1] ينظر:حافظ إسماعيل علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2009م، ص 35.

المبحث الثاني: الدراسات اللغوية الوصفية

1- اللسانيات:

تحظى اللسانيات بأهمية كبرى، كما أنها لم تعد قاصرة على مجال الدراسات اللغوية فحسب، بل أصبحت تحتل حيّزا معتبرا في كثير من المجالات، وذلك بما قدمته من مفاتيح علمية لكثير من قضايا العلوم الإنسانية.

وظهر مصطلح اللسانيات «لأول مرة في ألمانيا "Linguistique"، ثم استعمل في فرنسا "Linguistique" إبتداء من سنة 1826، ثم في انجلترا إبتداء من سنة 1855م».[1]

ونظرا لكون هذا المصطلح شاملا فقد وجدت له العديد من الترجمات مثل الألسنية، اللسانية، الألسنيات علم اللسان، اللّسنيات، علم اللغة، وفقه اللغة، كما تشعبت وكثرت التعريفات لهذا العلم فـ"جورج مونان" J Mounin يعرفها بقوله: «اللسانيات Linguistique هي الدراسة العلمية للغة، ويعني بالعلمية "الدراسة الموضوعية" étude objectique أو "الوصفية" descriptive أو "التفسيرية" explicative للبنية structure».[2]

بينما يعرفها آخرون بأنها العلم الذي يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية، تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع بعيدا عن النزعة التعليمية، والأحكام المعيارية إذ ليس من أهداف هذا العلم بناء قواعد تقويمية تعصم

---

[1] أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، الإمارات، د ط، د س، ص 23.

[2] عبد الجليل مرتاض: لسانيات النص التحليلية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 2013م، ص 5.

اللسان عن الخطأ كما هو الحال في قواعد النحو[1]، ذلك لأن موضوعها الأساسي هو اللغة كما هي في الواقع مما ينطقه الناس في تواصلهم، لا كما يجب أن تكون، وبهذا تشتمل الدراسة اللسانية للغة الجوانب الصوتية، الصرفية المعجمية، والدلالية، فهي تتطلع إلى «مشاهدة الظواهر اللغوية الجزئية ثم استنباط قوانينها والاستدلال العقلي والعلمية الافتراضية الاستنتاجية».[2] ومنه فاللسانيات تعتمد على إجراءات معينة في دراستها للغة.

وبالتالي فهي تحدد خصائص العملية الكلامية، وتحصر العوائق التي تقف أمامها سواءا كانت نفسية عضوية، أو إجتماعية. وتعتمد في دراساتها العلمية للغة على ثلاثة عناصر أساسية:

- الشمول: والمقصود بها دراسة الظاهرة اللسانية من جميع جوانبها المختلفة.

- الانسجام: ويقصد به عدم وجود تناقض أو تنافر بين الأجزاء في الدراسة الكلية.

- الاقتصاد: يقصد به اعتماد أسلوب الإيجاز في دراسة الظواهر اللغوية، مع التركيز على التحليل الدقيق العلمي.[3]

وقد نظر العلماء إلى اللسانيات من زاويتين مختلفتين، لكنهما في العمق متكاملتين، فالزاوية الأولى هي الزاوية العامة باعتبار اللسانيات ذات طابع علمي عام، كما هو الشأن في العلوم الأخرى، وبالتالي لها مبادئ عامة والتي يمكن تطبيقها على الألسن الطبيعية بصرف النظر عن طبيعة الاختلافات الحاصلة في بنيتها أو مظاهرها المتعلقة بكل لسان على حدى، فأطلقوا على هذا النوع إسم "اللسانيات العامة "أو "النحو الكلي".

---

[1] ينظر:أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، دار الفكر، سوريا، ط3، 2001م، ص 15.

[2] التواتي بن التواتي: مفاهيم في علم اللسان، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2008م، ص 24.

[3] ينظر: بن زوق نصر الدين: دروس ومحاضرات في اللسانيات العامة، دار الكنوز الحكمة، الجزائر، ط1، 2011م، ص8.

وفي هذا الشأن يعرف "بنفنست" اللسانيات بأنها دراسة اللغة والألسن يقول: «إنّ اللسانيات موضوعا مزدوجا، إنها علم اللغة Langage ،وعلم الألسن Langues »، أما الزاوية الثانية فهي الزاوية الخاصة المتعلقة باللسانيات الخاصة في تناولها للسان محدد كالعربية أو الفرنسية، وهذه الزاوية مجال لاختبار المبادئ العامة وميدان لتقدير مدى فعالية ما تقترحه الزاوية العامة من قواعد ومبادئ كلية في إطار التطبيق على بنيات لسان محدد أو ما يسمى بالنحو الخاص، ومن هذا المنظور يورد مصطفى الغلفان تعريفا لـ"مالفريد بييرفيتش" manfred bieruech في اللسانيات قائلا: «إنّ اللسانيات وجهين دراسة ألسن خاصة محددة وهي ما نسميه اللسانيات الخاصة ،ودراسة الاطرادات العامة وهي ما نسميه اللسانيات العامة».[1] رغم وجود بعض الاختلافات بين اللسانيات العامة والخاصة، إلّا أنّ كلاهما مكمّل للآخر.

ويؤكد "بيرفيتش" على علاقة التكامل بين هذين النوعين فيقول: «إنّ هذه الإطّراءات العامّة لا يمكن اكتشافها إلّا بدراسة الألسن الخاصة، كما أنّه لا يمكن تحليل الألسن الخاصة إلّا إذا كان منطلقنا على الأقل في شكل فروض بعض الإطّرادات العامة».[2]

ويتضح مما سبق ذكره أنّ اللسانيات الحديثة تتميز بمجموعة من الخصائص جعلتها تختلف عن علوم اللغة قبل القرن 19، والتي يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- استقلال اللسانيات عن باقي العلوم الأخرى، وهذا ما يؤكد علميتها.

- اللسانيات قائمة على نظرية، ومنهجية واضحة ودقيقة ،كما تعتمد على أدوات التحليل.

---

[1] مصطفى الغلفان: في اللسانيات العامة، تاريخها، طبيعتها، موضوعها،و مفاهيمها، ص 196، 197.

[2] المرجع نفسه، ص 198.

- اهتمامها باللغة المنطوقة-الكلام- قبل المكتوبة، على عكس العلوم السابقة.

- اللسانيات أكثر انفتاحا على المعارف الأخرى من علم الاجتماع، علم النفس، والفلسفة، ولهذا استطاعت أن تفرض نفسها في إطار العلوم الإنسانية كنظرية ومنهج لا يستهان بها.

- عناية اللسانيات باللهجات، وعدم التفريق بينها وبين الفصحى، فاللهجات لا تقل أهمية عن سواها من مستويات الاستخدام اللغوي.[1]

ومنه فاللسانيات علم حديث له أسسه ومبادئه ونظرياته الخاصة به، فهو يعتمد في دراسة اللغة على مبدأين مهمّين هما: العلمية والموضوعية؛ فالعلمية تتجسّد في إخضاع اللغة للملاحظة والتجريب والضبط، أمّا الموضوعية فهي تجرد الباحث من الذاتية.

2- سوسير حياته وأعماله:

أخذت النظرية اللسانية المعاصرة خصوصيتها المميزة منذ أن ظهرت إلى الوجود الأفكار العلمية التي جاء بها "فيردناند دو سوسير" Ferdinand de saussure في مجال البحث اللساني، ومن هنا يعد –دوسوسير- الأب الحقيقي للسانيات الحديثة بدون منازع ،فهذا اللغوي الوفي لروح عصره، تثقف بثقافته وامتثل لمناهجه أثناء تجواله بين سويسرا، ألمانيا وفرنسا، وزاوج بين ما تعلمه في جنيف ولايبزيج حيث أعدّ رسالة حول استعمال المضاف المطلق في اللغة السنسكريتية، ثمّ استقر بباريس من 1880إلى 1891م، فتولى تدريس النحو المقارن بمعهد الدراسات العليا، وأعدّ أطروحة تتّصل بنظام الحركات في اللغات الهندو أوروبية، ثم عاد إلى موطنه جنيف

[1] ينظر: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص 16.

ودرّس بها اللغة السنسكريتية والنحو المقارن، وفي سنة 1907 م عُهد إليه تدريس اللسانيات العامة، إلى أن توفي سنة 1913م.[1]

وبقيت أعماله مبعثرة ولم تجمع إلى أن قام إثنان من زملائه هما "تشارلز بالي" Charls Bally، و"ألبرت شيشهيه" "Albertsechehaye" بجمع المحاضرات التي كان يلقيها على تلامذته ونشرها في كتابه الذي عُنون بـ "محاضرات في اللسانيات العامة" [2]، والذي عُدّ من أشهر الكتب، بالإضافة إلى أعمال أخرى والتي نشرت على يد العديد من العلماء مثل:«"كتابات فرديناند دوسوسير"، "كتابات في اللسانيات العامة"، وهي عبارة عن نصوص جمعها "سيمون بوكيه" Simon Bouquet، و"رودولف إنكلر"، نشرت في باريس سنة 2002م في شكل مجلد يحتوي على 353 صفحة، وكتاب "الكلمات تحت الكلمات"، "الجناس التصحيفي عند فرديناند دوسوسير" وهي نصوص جمعها "ستارو بنسكي" strarobinski نشرت في باريس 1971م في مجلد يحتوي على 167 صفحة»[3] بالإضافة إلى العديد من المخطوطات الأخرى التي نسبت إليه.

وقد عرف سوسير بمقولته الشهيرة: «دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها»[4] والتي تعني بأن اللغة هي موضوع علم اللسان، أمّا معنى "اللغة في ذاتها" فهي دراسة اللغة كما هي، وليس للباحث أن يغير من طبيعتها وهذا ما أشار إليه دوسوسير؛ أي أنّ اللغة تدرس دراسة موضوعية تستهدف الكشف عن حقيقتها من حيث

---

[1] ينظر: عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، د ط، 1986م، ص 119.

[2] ينظر: محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط1، 2004م، ص 10.

[3] ميشال أريفيه: البحث عن فرديناند دوسوسير، تر محمد خير محمود البقاعي، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2009م، ص 19.

[4] فرديناند دوسوسير: علم اللغة العام، تح يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق العربية، بغداد، دط، دس، ص 376.

كونها تميز الإنسان عن سائر المخلوقات، ولم يكتف سوسير بتوضيح مجالات هذا العلم، بل ذهب إلى تحديد مهام اللسانيات والتي حصرها في أربع نقاط رئيسية وهي:

-«الدراسة العلمية للسان البشري من خلال وصف المستويات المترابطة.

-دراسة اللغات تاريخيا، وبناء النظام الأسري الخاص بها.

-استكشاف القوى المتحكمة في نظامية اللغة وتغيرها عبر الزمن.

- تحديد موضوع اللسانيات ومنهجها الخاص بها».[1]

انصب جهد سوسير في المقام الأول على دراسة سلسلة من الثنائيات التي استنبطها للظواهر اللغوية من خلال رؤية ثنائية مزدوجة، فكانت بمثابة مبادئ قامت عليها المدرسة البنيوية بجنيف ومن هذه الثنائيات:

- «اللغة والكلام.

- الدال والمدلول.

- الآنية والزمانية.

- العلاقة الجدولية والعلاقة الأفقية».[2]

---

[1] نعمان بوقرة: اللسانيات، اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص 12.

[2] المرجع نفسه، ص 72.

قامت اللسانيات البنيوية على مجموعة من المبادئ لخصها سوسير في شكل تقابلات، وقد هدف من وراء هذه التقابلات إلى معارضة الأفكار السابقة، والتي تقوم بعزل الأشياء عن بعضها البعض من جهة، ومن جهة ثانية إلى الكشف عن العلاقات في تلك التقابلات التي تقيمها، ومن بين هذه التقابلات:

2-1- اللغة و الكلام:

ميّز سوسير بين هاتين الثنائيتين حيث جعل إحداها ذات طابع اجتماعي وهي اللغة، والأخرى ذات طابع فردي وهو الكلام.

أ-«اللغة "Langue": يرى سوسير بأنّ اللغة ليست سوى جزءا محدّدا من اللسان، فاللغة نتائج اجتماعي لملكة اللسان، ومجموعة من التقاليد الضرورية التي يتبناها مجتمع ما ليساعده أفراده على ممارسة هذه الملكة، وهي كيان موحّد قائم بذاته وتخضع للتصنيف».[1]

إذا فسوسير ربط اللغة باللسان، جاعلا اللغة جزء من اللسان، واللسان جزء منها، فهو نتاج اجتماعي لملكة اللغة.

ومن جهة أخرى اعتبر- سوسير- «اللغة أداة للتبليغ وليست عارضة طارئة، ونفى أن تكون تصوّرا لبنية فكرية مجردة تستقلّ بوجودها عن أية صورة صوتية، مؤكّدا أنّها ما اصطلح عليه المجتمع من رموز وإشارات وبها يستطيع الفرد التواصل مع غيره».[2]

---

[1] خليفة بوجادي: اللسانيات النظرية دروس وتطبيقات، بيت الحكمة للنشر، الجزائر، ط2، 2012م، ص30.

[2] بريجيته بارتشت: مناهج علم اللغة، تر سعيد حسن البحيري، مؤسسة المختار، د ب، ط1، 2004م، ص96.

وهنا يرمي إلى أنّ اللغة هي الملكة المتمثلة في القدرات التي يملكها الإنسان، والتي تميزه عن غيره معبّرا عنها بأنها بنية أو نظام مطّرد في وحداته، فعدّها بذلك المنطلق الأول للظواهر الأخرى، رافضا التصورات السابقة القائمة على ربطها بالفكر والمنطق.

«فاللغة كانت في السابق تعبر عن الفكر، وليس لها شكل خاص مستقلّ بذاته، فعناصرها تنتظم في الكون حسب ميل العقل والمنطق[1].

وهذا الاعتقاد خاطئ فسوسير أثبت العكس من ذلك، فصرّح بأنّ- اللغة- نظام، وهذا النظام مجموعة من الوحدات التي ترتبط ببعضها البعض مكونة علاقة، فإذا تغيّر عنصر منها كان لذلك التغيير أثر على النظام بأكمله.[2]

ب-الكلام"Parole ":

ذهب سوسير إلى أنّ الكلام هو الحديث الفعلي والفردي يستوعب ما هو عارض بدرجة أقل أو أكثر ويسعى إلى الدينامية، ويجيز نشوء القياسات، فهو مفتقر حسب رأيه إلى اللغة.[3]

وبالتالي فإنّ البحث عن العلاقة بين اللغة والكلام، تتضح من خلال أنّ الكلام لا يكون إلّا بوجود اللغة فلا يستطيع الفرد مهما كانت قدراته العقلية أن ينشىء كلاما مؤثرا إلّا إذا جارت جمله وعباراته قواعد اللغة

---

[1] عبد القادر المهيري وآخرون: أهم المدارس اللسانية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، د ط، 1986م، ص 19.

[2] ينظر: بريجيته بارتشت: مناهج علم اللغة، ص 26.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 96.

والكلام هو الآخر ضروري لبناء اللغة وتكوينها، فهو وسيلتها للتطور والنمو، ومنه فالعلاقة بين هاتين الثنائيتين هي علاقة تكامل.

ومن خلال هذه العلاقة خلص سوسير إلى وضع السّمات المميزة للغة، والتي حصرها في:

-«اللغة جزء اجتماعي من الكلام الإنساني، ومستقل عن الفرد الذي لا يمكنه أن يخلقها، ولا أن يغيرها لنفسه وحده، فهي تنشأ على أساس نوع من الاتفاق بين أعضاء الجماعة.

- اللغة يمكن أن تبحث مستقلة عن الكلام، فاللغة حسب طبيعتها متجانسة في ذاتها، أي نظام من العلامات وكل ما يتعلق باللغة يمكن تحديده، وأداة ذلك الكتابة».[1]

يمكن القول أن كلاّ من اللغة والكلام عنصران مهمان لحدوث عملية التواصل، فاللغة هي الشكل والكلام هو المادة، والفصل بينهما يعني التمييز بين ما هو جوهري (اللغة)، وما هو ثانوي وعارض (الكلام).

2-2- الدال والمدلول (العلامة اللغوية):

استخدم سوسير مصطلح العلامة " Signe" للدلالة على الكلمة لفظا ومعنا، فالرمز اللغوي له وجهان لا ينفصل أحدهما عن الآخر وهما:

أ- «الدال "Signifiant" وهو مجموعة من الأصوات المنطوقة والمسموعة القابلة للتقطيع؛ أي صورته المادية الفيزيائية.

[1] المرجع السابق، ص 96.

ب- المدلول "Signifie" وهو المفهوم أو المعنى أو التصور الذهني الذي يشير للدال، ويكون مخزنا في الدّماغ»[1] إذا فالدلالة "Signification" لا تتم إلا بوجود هاتين الصورتين الصوتية والذهنية، والتي باقترانهما يحدث الفهم.

ويؤكد سوسير أنّ « العلامة اللسانية لا ترتبط باسم بل بصورة سمعية، وهذه الأخيرة ليست الصوت المادي الذي هو شيء فيزيائي صرف، بل هي الدفع النفسي لهذا الصوت...».[2]

وهنا سوسير لا يقصد بالصورة السمعية أو الصورة الصوتية الصوت المادي المحسوس، بل هي ما تهابنا إياه شهادة الحواس، فمثلا عند ملاحظة لسان خاص فالصورة السمعية تبدو واضحة إذ بوسع الفرد أن يتكلم إلى نفسه دون تحريك اللسان والشفتين.

إنّ العلامة تمثل الإطار الذي تتضح فيه الوحدة البنيوية لكل من الدال والمدلول.

2-3- الآنية والزمانية:

وضع سوسير هذه الثنائية لمعالجة اللغات باعتبارها أداة للتبليغ، المستقلة بذاتها في أيّ وقت معين، وفي هذا الإطار تحدث عن:

---

[1] شفيقة العلوي: دروس في المدارس اللسانية الحديثة، «التنظير والمنهج والإجراء»، ص 18.

[2] خليفة بوجادي: اللسانيات النظرية دروس وتطبيقات، ص 32.

أ- « **الآنية Synchronique**:

معتبرا إياها الحالة التي تنظر إلى اللغة كنظام قائم بنفسه، أو نظام متنامي في نقطة معينة من الزمان».[1]

أي الدراسة القائمة على ملاحظة النظام اللغوي دون النظر إلى التغيرات التي تطرأ عليه.

ب- «الزمنية Diachronique: فهي التي تنظر إلى اللغة من مختلف مراحل تطوّرها دون الاهتمام بالبنية الداخلية للغة، ولا كيف تتفاعل عناصرها الكلية وكيفية صياغة تركيباتها الفعلية».[2]

أي التتبع التاريخي ورصد التطور دون الاهتمام بالبناء الداخلي للغة.

وهدف سوسير من هذه الثنائية [الآنية/ الزمنية] هو التمييز بين منهجين في الدراسة اللغوية أو اللسانية وهما: «المنهج التاريخي الذي يهتم بتعاقب الأزمنة لأجل الكشف عن التطورات التي تلحق باللغة، ولذلك شبّه بالمحور العمودي، في حين المنهج الوصفي يهمل هذه الجوانب إذ يركّز على وصف جوهر اللغة وشكلها، فشبّه بالمحور الأفقي.[3]

يرجع قرار سوسير بضرورة الالتزام بالدراسة الوصفية للغة، إلى إدراكه لطبيعة هذه اللغة التي تتسم بالتعقيد ولهذا فمن واجب أيّ باحث أن يدرسها- اللغة- كما تدرس العلوم الطبيعية وظواهرها بمعزل عن كل تغيّر أو تطوّر؛ أي دراستها في ذاتها و لأجل ذاتها.

---

[1] كاترين فوك وبيارلي قوفيك: مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، تر المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1984م، ص 20.

[2] المرجع نفسه، ص 20.

[3] ينظر: شفيقة العلوي: دروس في المدارس اللسانية الحديثة، « التنظير، المنهج والإجراء»، ص 16، 17.

2-4- العلاقة الجدولية والعلاقة التركيبية (التركيب- الإستبدال):

ميّز سوسير بين نوعين من العلاقات هما:

أ- «العلاقة التركيبية: هي تلك العلاقة المبنية على صفة اللغة الخطية، تلك الصفة التي لا تقبل إمكانية لفظ عنصرين في آن واحد، وهذان العنصران إنما يقع الواحد منهما إلى جانب الآخر ضمن السلسلة الكلامية.

ب- العلاقة الإستبدالية: هي تلك العلاقة التي تتحقق وظيفتها ضمن إدراك الترابط الذهني الحاصل بين العلامة اللغوية، والعلامات التي يمكن أن تحل محلّها ممّا يمكن أن تتسم معه بشيء مشترك، وتترابط معه في الذاكرة مشكّلة مجموعات تسودها علاقات مختلفة». [1]

وعليه فكلتا هاتين العلاقتين مبنيتين على ترابط الألفاظ فيما بينها، فمثلا العلاقة الاستبدالية هي علاقة إبدال بين الوحدات القادرة على القيام بالدور نفسه، في حين أن التركيب يقتضي وجود وحدات أخرى تكون عائدة للمستوى نفسه حتى تشكّل بناءا أو تركيبا. وفي هذا يقول سوسير :«إنّ عبارة ما، في تركيب ما لا تكتسب قيمتها إلّا بتقابلها مع ما يسبقها أو ما يليها أو الإثنين معا»[2].

أثبتت هذه الثنائيات أنّ نظرية سوسير لم تنشأ من العدم، بل استندت على أسس معرفية مختلفة، وبذلك يعود الفضل إليه في إقامة المنهج البنيوي الوصفي الذي كرّس مبدأ نظامية اللغة، مما أعطى اللغة الحق في أن تدرس

---

[1] الطيب دبة: اللسانيات البنيوية ،دراسة تحليلية ابستمولوجية، ص 89.

[2] خليفة بوجادي: اللسانيات النظرية، دروس وتطبيقات، ص 33.

على أنّها شكل ونظام قائم بذاته دون ربطه بالسياقات والعوامل الخارجية، من خلال التركيز على العلاقات التي تربط بين عناصر هذا النظام اللغوي.

3- المنهج الوصفي البنيوي:

إنّ ما يميّز اللسانيات الحديثة هو استخدامها لمنهج علمي في دارسة اللغة، وهذا المنهج يختلف عن المناهج التقليدية حيث أنّه ينظر إلى اللغة «نظرة وصفية تعتمد على الملاحظة المباشرة للظواهر اللغوية الموجودة بالفعل ولا يهدف من ذلك إلى وضع قواعد يفرضها على المتكلّمين باللغة».[1]

وقد ظهر هذا المنهج في أوائل القرن العشرين، ويرجع الفضل في بيان منافعه إلى العالم، واللغوي الشهير "فرديناردوسوسير"، والذي اعتبره ردّا على المناهج الأخرى التي سيطرت على الدراسات التاريخية والمقارنة، داعيا إلى دراسة اللغة في مرحلة خاصة، وهي حالة استقرارها في بيئة مكانية معينة، وفترة زمنية محددة، وقد اتخذ لهذا المنهج مصطلح Synchronic، وهو منهج يعنى بوصف اللغة من حيث هي تنظيم قائم بذاته، وهذا ما أكده سوسير حينما قال: «أنّ موضوع الدراسة اللغوية الوحيد والحقيقي، هو اللغة التي ينظر إليها كواقع قائم بذاته».[2]

وللمنهج الوصفي أسس عامة تميزه عن باقي المناهج الأخرى، ومن هذه الأسس ما يلي:

- وصف الظاهرة اللغوية في مرحلة زمنية وبقعة مكانية محددة، بحيث يقوم الباحث بعمليات الملاحظة والفحص المقارنة، التحليل، والتصنيف.

---

[1] نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة، ص 67.

[2] ينظر: علي زوين: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1986م، ص 10.

- إعتماده على الصورة المنطوقة للغة أكثر من الصورة المكتوبة، باعتبار أنّ اللغة لها وجهان: وجه الكلام، ووجه الكتابة.

- الإهتمام باللغات الحية، ولذلك يحرص الوصفيون على السماع من أحد أبناء اللغة الناطقين بها والمسمى بالراوي "Informant".

- العناية باللهجات المحلية أكثر من الاهتمام باللغة المعيارية الفصحى.

- إغفال الفروق بين الاستعمالات اللغوية النموذجية، الرديئة، والعامية، لأن لكل مستوى نظامه وقوانينه، ولكل لسان بنيته لذا ينبغي وصفه على حدى بدقة.

- التركيز على التراكيب الشكلية لأنها يجب أن تدرس كما تدرس العلامة، فهي شيء يمكن تحديده وتعيينه.

- الوصف لا يحفل بتفسير الظواهر، وإنما همّه استنتاج الحقائق اللغوية، وبيان القواعد المطرّدة منها، والشاذة حسب ما تدل عليه الملاحظة والتصنيف من خلال واقع اللغة المنطوقة، وذلك بغضّ النظر عن مقارنة حاضر اللغة بماضيها.

- الاهتمام بالمفردات من جانبها الصوتي أولا، وذلك لمعرفة الأسس الفونيمية والمورفيمية التي تسمح بوصف تفصيلي دقيق، أما الوظيفي النحوي فيستبعد فيه المعنى، والجانب الاشتقاقي في الدراسة. [1]

[1] ينظر: عبد المجيد مجاهد: علم اللسان العربي، ص 387.

– الإبتعاد عن المنطق والفلسفة في تفسير وتأويل الظواهر اللغوية، وذلك بتحديد المستوى اللغوي المقصود بالدراسة، لأن عدم تحديد زمن الدارسة، ومكانها يؤدي إلى الخلط، ويوصل الباحث إلى نتائج مضللة.[1]

كل هذه الأسس التي يعتمدها هذا المنهج– الوصفي– ويسير عليها تهدف إلى تحقيق دراسة علمية، ووضع مناهج لتعليم اللغة من خلال نصوص مستقرة في آخر صورة لها، واستدراك ما لم يذكره القدماء من مواد معينة واستبعاد الأحكام الجمالية أو التقييمية في اللغة، والتركيز على الصوت والتركيب وإخضاعه للدارسة المجردة بغض النظر عن قيمته ومكانته، وبالتالي فصل القواعد والقوانين التي تتّسم بالكلية، وتطبيقها على أكثر من لغة تحت معايير تحليل أنواع الصيغ اللغوية، وكشف الأنظمة النحوية والصرفية لها، كما ينبغي أن يكون الوصف كاملا ويتناسب مع اللغة حتى ولو كانت شاذة في القاعدة، فالأصل المسموع وليس المقيس.[2]

والخلاصة أنّ المنهج الوصفي الذي جاء به سوسير هو من أنسب المناهج العلمية لدارسة اللغة، والكشف عن ظواهرها المختلفة، وذلك بوصفها كما هي في الوقائع دون إعطاء الأسباب والعلل، بعيدا عن التعقيد قصد تيسير اللغة وتعلّمها.

---

[1] ينظر: محمد محمد داود: العربية وعلم اللغة الحديث، دار الغريب، القاهرة، د ط، 2001م، ص 95.

[2] ينظر: إبراهيم محمد إبراهيم عثمان: مناهج البحث اللغوي ومدارسه، مذكرة ماجستير في الأدب واللغويات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عمر مختار، ليبيا، دس، ص 6.

3-1- عند الغرب:

لقد تبنى هذا المنهج العديد من العلماء واللغويين، حيث عملوا على تطوير أفكار سوسير ودعمها بأفكارهم، محافظين في ذلك على مبدئه الأساسي، وهو أنّ اللسان شكل لا مادّة، فكان من نتائج ذلك أن تمخضت عن هذا المنهج مدارس بنيوية منها: مدرسة براغ، المدرسة الغلوسيماتيكية، والمدرسة الأمريكية.

أ- مدرسة براغ:

من المدارس اللغوية التي تأثرت بأفكار وثنائيات سوسير المدرسة المعروفة بنادي براغ اللساني، الذي أسسه العالم التشيكي"فيلام ماثيزيوس"، وبعض معاونيه سنة 1926م، وعرفت بالمدرسة الوظيفية أو الفونيمية.

وقد بلغت هذه المدرسة ذروتها في الثلاثينيات عندما انظم إليها سنة 1928م ثلاثة لسانيين روس، "رومان جاكبسون" Roman Jakobson و"جان كرسفسكي" J Karsifisky، و"نيكولاي تروبتسكوي" Nicolai Trubetwkoy وواصلت أفكار هذه المدرسة ازدهارها في أمريكا من خلال أعمال اللغوي "رومان جاكبسون".[1]

ومن المبادئ التي ركّزت عليها هذه المدرسة:

- دراسة الوظيفة الحقيقية للغة وهي التواصل.
- التركيز على المبدأ التزامني في دراسة اللغة.

[1] ينظر: محمد عثمان: مناهج البحث اللغوي ومدارسه، ص 19، 20.

- استثمار مفاهيم سوسير في دارسة وظيفة الصوت اللغوي مثل: التقابل، النظام، العلاقات التركيبية والاستبدالية.
- اتخاذ المعنى مقياسا في تحليل النصوص اللغوية وتحليل البنية الأولية البسيطة للغة (الفونيم).[1]

ورغم العمر القصير لمدرسة براغ إلاّ أنها استطاعت أن ترسّخ لمبادئ معرفية ومنهجية جديدة في اللسانيات.

ب– مدرسة كوبنهاغن:

ظهرت هذه المدرسة في العقد الثالث من القرن 20م متأثرة بأفكار سوسير، فحاول أصحاب هذه النظرية التجديد في طريقة دراسة اللغة موظفين بذلك مصطلحات غريبة، وصاغوا العناصر اللغوية في شكل رموز جبرية ذات سمة رياضية.[2]

ومن المؤسسين الأوائل لهذه المدرسة «"جاسبرسن" Jespersen، و"بدرسن" pedersen، و"لويس يلمسلاف" Lowis Hjelmsleve» الذي يعود له الفضل في امتداد تأثير هذه المدرسة في الدراسات اللسانية خارج كوبنهاجن من خلال وضعه للنظرية "الغلوسيماتيكية" Glossimatics»[3].

والتي من مبادئها العامة:

–مبدأ التجريبية: الذي يعتمد على الملاحظة والاختبار.

---

[1] ينظر: المرجع السابق، ص 20– 21، 22، 23.

[2] ينظر: السعيد شنوقة: مدخل إلى المدارس اللسانية، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ط1، 2001م، ص78.

[3] أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص 77.

-مبدأ الإحكام والملائمة: فالمصطلح الأول -الإحكام- ورد عند سوسير بمعنى الاعتباطية، وعند يلمسلاف بمعنى الإحكام.[1]

وعليه فإن النظرية الغلوسيماتيكية إتخذت منحى جديد يختلف في منطلقاته المعرفية عن الدراسات اللسانية السابقة.

ج- المدرسة الأمريكية:

وهي مدرسة لسانية بنيوية تأسست في بدايتها انطلاقا من الدراسة «الأنثروبولوجية التي اهتمت بدراسة العناصر البشرية، واكتشاف خصائصها الثقافية، وقد قامت هذه المدرسة على يد ثلاثة أعلام منهم "بلومفيلد" Blomfield الذي تميز بالصرامة العلمية والمنهجية، وتأثره بعالم النفس السلوكي "واطسن" Watson ،"فرانز بواز" Boas، و"إدوارد سابير" Edward sapir»[2].

ومن الأفكار التي هيمنت على هذه المدرسة طيلة القرن 20م ما يلي:

- دراسة اللغات المغمورة.
- التركيز على لغة الحديث باعتبارها الوحيدة الجديرة بالدراسة.
- الابتعاد عن إقحام المنطق والمعنى في تفسير الظواهر اللغوية.
- العناية بتصنيف اللغات الهندية والأمريكية.

---

[1] ينظر: السعيد شنوقة: مدخل إلى المدارس اللسانية، ص 79.

[2] محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، ص 68.

وعليه فإن المدرسة الأمريكية عرفت بنشاطها المتميز في رصد أبعاد المنظومة اللغوية من خلال باحثيها اللسانين، مما جعل اللسانيات في أمريكا في وضع متقدم من البحث العلمي المنظم.

إنّ هذه المدارس البنيوية مثلث التطور اللساني الغربي في أحسن صوره في القرن العشرين، رغم اختلاف كل واحدة منها في المبادئ التي تعتمدها، إلا أنها تتفق في نظرتها للغة كنظام علائقي، أو شبكة من العلاقات المتزامنة والبنية الداخلية.

3-2- عند العرب:

قد يصعب تحديد الإرهاصات الأولى للاتجاه الوصفي في الدراسات اللسانية العربية، وكيفية انتقال الفكر اللغوي الغربي إلى التفكير اللغوي في الوطن العربي، لكن الذي لا شك فيه أنّ ذلك كان نتيجة احتكاك الدارسين العرب بالحضارة الغربية، من خلال البعثات الطلابية التي سلكت طريقها إلى الجامعات الأوروبية، وتأثرها بالمدرسة الانجليزية، وبمبادئ وأفكار دوسوسير، وعلى إثر هذا حاول هؤلاء بعد العودة إلى الوطن عرض ما توصل إليه علماء الغرب في دراسة اللغة، وتطبيقها على اللغة العربية، وذلك بنقل مناهج البحث اللغوي الغربية إلى الدرس العربي نظرًا للنتائج التي حققتها اللسانيات الوصفية، ومن هنا كان إعلانهم عن ميلاد الاتجاه الوصفي في الدراسات اللغوية العربية قصد التجديد، فانطلقوا من نقد التراث النحوي القديم الذي ظل مسيطرًا على الدراسات اللغوية لسنوات طويلة، ودعوا إلى دراسة اللغة دراسة وصفية بعيدا عن المعيارية، وشكلوا مدرسة تدعى بالمدرسة التحليلية الشكلية، والتي مثلها جماعة من اللسانين العرب بالجامعات المصرية[1]، لكن هذه الدعوى في البداية لم تلق الترحيب من جانب لغويين آخرين الذين عدوا هذا التجديد هجوما على التراث وتشويها له، وما كان من

[1] ينظر: حلمي خليل: العربية وعلم اللغة البنيوي، دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية، دب، دط، 1988م، ص 167.

ذلك إلّا أن نتج صراع بين هذين التيارين، فظهرت أزمة اللسانيات التي قيدت البحث اللغوي العربي بسبب «عدم التمييز بين النحو واللغة، والخلط والغموض في وضع مصطلح –اللسانيات– بالعربية والنظرة المتشائمة لكل ما يؤخذ عن الغرب».[1]

والحقيقة أن اللسانيين التقليديين العرب لم ينظروا إلى اللغة نظرة جديدة، في حين أن الدعاة إلى الوصفية هدفوا إلى تطوير اللغة العربية، وإضفاء سمات جديدة عليها حتى ترتقي كغيرها من اللغات، ولعلّ الدافع الذي جعل هؤلاء ينجرون نحو الوصفية هو غياب منهج خاص بدارسة اللغة العربية، واعتقادهم بأنّ النحو العربي قد تأثر بالمنطق الأرسطي، فتبنوا المنهج الوصفي واتخذوه أساسا لهم، بما أنه يدرس اللغة دراسة علمية تعتمد على رصد الظواهر اللغوية كما هي في الواقع مستبعدين التعليل والتأويل.

ومن الباحثين العرب المحدثين الذين تأثروا بالمنهج الوصفي، وطبقوه في دراستهم كثر، ويمكن القول أن أغلب الدراسات العربية الحديثة تتبع المنهج الوصفي مما يعكس مدى تأثرهم به ومن هؤلاء:

أ– إبراهيم أنيس: وهو من الباحثين المحدثين الذين أتيحت لهم الفرصة للدراسة بالجامعات الأوروبية، فكان إطلاعه على طرق دراسة اللغة في ضوء مناهج البحث اللغوي في أوروبا سببا في تأثره بالمنهج الوصفي، والتزامه به في دراسته وأبحاثه، ومحاولة تطبيقه على اللغة العربية في جميع مستوياتها الصوتية، الصرفية، النحوية والدلالية، مؤكدا وجوب بداية أي دراسة بالوصف، وهذا ما اتبعه في دراسته للهجات العربية، كما أخذ بالثنائية (الوصفية/ التاريخية) التي تعد مقابلا موضوعيا لثنائية سوسير (السنكرونية/الديكرونية)، وترجمة اللسانيات السنكرونية بعلم اللغة الوصفي، واللسانيات الدايكرونية علم اللغة التاريخي، وتعني هذه الثنائية بأنها مقابلة بين منهجين في دراسة

[1] مصطفى الغلفان: اللسانيات العربية أسئلة في المنهج، الدار الأردنية للنشر، الأردن، ط1، 2013م، ص 94.

اللغة، فالأول تاريخي يعنى بدراسة تاريخ اللغة، والثاني وصفي يدرس اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها،[1] وإضافة إلى ذلك فقد عرض إبراهيم أنيس في كتابه "من أسرار اللغة" بعض الظواهر اللغوية ونعتها بالمشكلات اللغوية، وبأنها تحتاج للدقة والتفسير، منتقدا طريقة النحاة القدامى في وضع بعض القواعد والتي وصفها بالمبالغة والتعسف، وقد أفرد فصلا في كتابه- من أسرار اللغة- والذي عنونه بـ" قصة الإعراب" مظهرا فيه موقفه من الإعراب والحركات، حيث يرى أن الحركة الإعرابية ليس لها مدلول، وأن الأصل في الكلمات أن تنتهي بالسكون، فالتحريك ضرورة صوتية يلجأ إليها المتكلم لتحقيق الوصل بين الكلمات، لأن وظيفة الحركة الإعرابية هي وصل الكلمات ببعضها البعض.

أما نقده للتقسيم الثلاثي للكلم فقد جاء بعد إطلاعه على التقسيم الذي وضعه النحويون القدامى والذي وصفه بأنه لم يكن جامعا مانعا، وبذلك اقترح تقسيما آخر للكلام معتمدا على مسائل ثلاث وهي المعنى الصيغة، ووظيفة اللفظ والكلام، فالكلام عنده يتألف من (الإسم، الضمير، الفعل و الأداة).[2]

ويتضح تطبيق إبراهيم أنيس لإجراءات النظرية البنيوية من خلال تركيزه على المستوى التحليلي الصوتي في كتابه "الأصوات اللغوية"، الذي تناول فيه ظاهرة الصوت معتمدا على آراء العلماء القدامى في تحديد مخارج الأصوات وصفاتها، ومعالجة ظواهر الصوت (من الجهر والهمس...إلخ)، ورغم تصنيفه لهذا الكتاب ضمن الدراسة الفونولوجية، إلّا أنّ إهماله لنظرية "الفونيم "دليل عدم تمييزه بين الجانب الفونولوجي والجانب الفونيطيقي.[3]

---

[1] ينظر: فاطمة الهاشمي بكوش :نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، دار إتراك، مصر، ط1، 2004م، ص 32-33

[2] ينظر: إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1985م، ص 220، 272.

[3] ينظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، دط، 1989م ،دس، ص 3- 19.

وعليه فإن إبراهيم أنيس كان من الأوائل الذين نادوا بتبني المنهج الوصفي واعتبرت محاولاته العربية من أجرأ المحاولات في هذا المجال.

ب- عبد الرحمان أيوب:

يتضح نقد عبد الرحمان أيوب للتراث اللغوي العربي من خلال كتابه «"دراسات نقدية في النحو العربي" الذي صدر عام 1957م»[1] والذي عبّر فيه عن وجهة نظره اتجاه التراث النحوي، ويلخصه في كلمة "النحو التقليدي" قياسا على النحو الحديث الذي تقدمه اللسانيات الوصفية بديلا علميا و موضوعيا للدراسات السابقة، فهو يرى أن النحو مبني على افتراضات عقلية حاول النحويون تعميمها على المادة اللغوية دون استثناء وهو ما يتنافى والنظرية الوصفية التي تستنبط القاعدة من الأمثلة اللغوية، وتأبى إدخال المنطق في تحليل الظاهرة اللغوية.[2]

أما البديل الذي يقترحه فهو تبني المنهج الشكلي لا الوظيفي يقول:«إنّه لا بدّ لنا عند دراسة الكلمات وأنواعها من الاعتماد على شكلها لا على دلالتها».[3]

وهذا يعني أنّ شكل الكلمة هو الذي يساعد على تحديد تقسيمها وتوزيعها داخل الجملة دون العودة إلى المعنى. ومهما يقال حول محاولة عبد الرحمان أيوب فلا شك أنها أفادت التفكير اللغوي والنحوي بتقديمه نظرية لغوية ينقصها فقط اقتراح بدائل؛ إذ اكتفى بالنقد وأبقى أبواب النحو كما هي دون تغيير.

---

[1] عبد الرحمان أيوب: دراسات نقدية في النحو العربي، مؤسسة الصباح، الكويت، دط، دس، ص 122.

[2] ينظر: عبد الحميد مصطفى السيد: دراسات في اللسانيات العربية بنية الجملة العربية، دار الحامد، الأردن، ط1، 2004م، ص 66.

[3] عبد الرحمان أيوب: دراسات نقدية في النحو العربي، ص 122.

ج – محمود السّعران:

إنّ التحليل البنيوي للغة العربية ظهر مع الدعوة للمنهج الوصفي، ويعد كتاب محمود السعران"علم اللغة مقدمة للقارئ العربي" 1962م، من أهم الكتب التي تناولت مستويات التحليل اللغوي، ومن خلال عنوانه نستشف أنّه عبارة عن مدخل للسانيات، هدفه تعريف القارئ العربي بهذا العلم الجديد، فهو أول من استعمل مصطلح "البنيوية" Structure في الفكر اللساني العربي الحديث، كما مزج بين اتجاهين متعارضين في التحليل اللغوي، إذ حاول التوفيق بين التحليل الشكلي الذي أرسى دعائمه بلومفيلد في الاتجاه التوزيعي، وهو اتجاه يقلل أهمية الجانب المعنوي في الوصف النحوي، وبين اتجاه "فيرث" Fearth الذي يربط النحو بالدلالة[1]

وبهذا يكون قد خالف عبد الرحمان أيوب الذي اهتم بالجانب الشكلي فقط وأهمل المعنى، في حين أن محمود السعران مزج بين الاتجاهين الشكلي والدلالي في دراسته.

د– تمّام حسان:

ولعلّ أهم محاولة –تدخل ضمن الاتجاه البنيوي الوصفي– من حيث دقة المنهج وكمال الرؤية ووضوح الهدف هي آراء تمام حسان، إذ تعدّ أفكاره اللسانية صورة واضحة المعالم لالتقاء الفكر اللساني العربي الأصيل بالنظرية النحوية الغربية الحديثة، في محاولة التوفيق بين منهجي النحاة العرب القدماء، واللسانيين المعاصرين البنيويين بشكل خاص، قصد التأسيس لنظرية نحوية عربية حديثة عرفت باسم "نظرية تظافر القرائن" والتي تقوم

[1] ينظر: محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة، بيروت، د ط، دس، ص 232–261.

على عدم الاعتداد بالعلامة الإعرابية قرينة رئيسة لفهم المعنى، بل لا بدّ من إشراك جميع القرائن اللفظية والمعنوية على سواء.[1]

ويوضّح تمام حسان نظرته اللسانية الحديثة من خلال أعماله والتي تمثلت في ثلاث كتب مهمّة، وقد انقسمت هذه الكتب إلى قسمين:

فالأولى تمثل الجانب النظري، وهي الكتب التي ألفها في مرحلة ما قبل التأطير، وتظم كتاب "مناهج البحث في اللغة"، و"اللغة بين المعيارية والوصفية"، وكان الغرض من تأليفها واحد، «فمناهج البحث في اللغة" هو محاولة لإيجاد منهج جديد لدارسة اللغة العربية كبديل عن مناهج الدراسات التقليدية، والتي تميزت بالصعوبة والتعقيد ولهذا فقد حاول فيه أن يقدّم إلى القارئ العربي ما اصطنعه الغربيون من منهج وصفي، وعرض هذا المنهج عرضا مفصّلا، وذلك بأخذ الأمثلة ووسائل إيضاحه من الفصحى والعامية.[2]

أما غرضه من تأليف كتاب "اللغة بين المعيارية والوصفية" هو إيجاد علاج لشكوى المعيارية التي غلبت على النحو العربي القديم، حيث يقول: «وحين نظرت في كتب اللغة العربية فطنت إلى أنّ أساس الشكوى هو تغلب المعيارية في منهج حقه أن يُعتمد أولا وأخيرا» ؛ويعني بهذا أن كل كتب اللغة العربية قد سيطرت عليها المعيارية باستثناء بعض الدراسات الأولى التي قامت على الوصف في كثير من أبوابها، ككتاب "سيبويه"، وكتابي "أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني، وبهذا يقرّ بأن الدراسات العربية القديمة قد مرت بمرحلتين:

المرحلة الأولى: وصفية اعتمدت على الملاحظة والاستقراء ثم الخروج بنتائج.

---

[1] ينظر: محمود أحمد نخلة: مدخل إلى دراسة الجملة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، د ط، 1988م، ص 81.

[2] ينظر: تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، د ط، 1955م، ص 7-9.

المرحلة الثانية: معيارية لجأ فيها النحاة إلى تقديس القواعد.[1]

أما القسم الثاني من كتبه فقد مثلت الجانب التطبيقي، وهي الكتب التي ألفها في مرحلة النضج الفكري ككتاب "اللغة العربية معناها ومبناها"، والذي حاول فيه تطبيق المنهج الوصفي على اللغة العربية الفصحى، وذلك بقراءة التراث النحوي في ضوء النظرية السياقية عند فيرث، حيث جعل المعنى غاية الدراسة اللغوية، بعدما كانت الدراسات اللغوية القديمة تهتم بالمبنى،[2] وعلى إثر هذا حاول تمام حسان في كتابه التوفيق بين المعنى والمبنى من منظور وظيفي، وذلك من خلال نقده لمجموعة من القضايا اللغوية القديمة، كاعتراضه على«التقسيم الثلاثي للكلم لافتقاره التوفيق بين المعنى والمبنى مقترحا بديلا لهذا التقسيم في سبعة أقسام هي(الاسم، الصفة، الفعل، الضمير الخالفة، الظرف والأداة)، وقسّم أكثر هذه الأقسام إلى أقسام أخرى كتقسيمه الاسم إلى خمسة أقسام هي: (الاسم المعين، الاسم الحدث، اسم الجنس)، وطائفة من الأسماء الأخرى (كإسم الزمان، واسم المكان، واسم الآلة)».[3]

ولم يقتصر كتاب تمام حسان– اللغة العربية معناها ومبناها– على النقد فقط بل وذهب إلى وضع أسس النظام النحوي، حيث رأى أنّ اللغة نظام يتألف من مجموعة من المعاني تقف بإزائها مجموعة الوحدات التنظيمية أو المباني المعبرة عن هذه المعاني، ثمّ طائفة من العلاقات التي تربط بينها ربطا إيجابيا، وعلى هذا الأساس فالنظام اللغوي يتألف عنده من ثلاثة أنظمة هي: النظام الصوتي، الصرفي، والنظام النحوي.

---

[1] ينظر: تمام حسان: اللغة بين المعيارية والوصفية، دار عالم الكتب، مصر، ط4، 2001م، ص12

[2] ينظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، دب، دط، 1994م، ص 9– 10.

[3] المرجع نفسه، ص 9.

ويرى تمام حسان أنّ هذا الأخير؛ أي النظام النحوي يدور حول فكرة "التعليق" أو ما كان يعنيه النحاة القدامى بالإعراب، ففي رأيه أنّ " التعليق هو الفكرة المركزية في النحو العربي... وهو الإطار الضروري للتحليل النحوي".

ويقصد تمام حسان بالتعليق العلاقات السياقية التي تتجلّى من خلال القرائن المعنوية والتي تضم (الإسناد التخصيص، النسبة، التبعية والإخراج)، والتي تلتحم بدورها بالقرائن اللفظية (كالإعراب، الرتبة، الصيغة، المطابقة الربط، التضام، الأداة، والتنغيم) والتي تكشف عن المعاني الوظيفية في التراكيب النحوية.[1]

وعليه فإنّ تمام حسان قد ركز على فكرة التعليق من خلال الاهتمام الشديد بالقرائن المختلفة التي تعين على إدراكها معترفا باعتماده على آراء «عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز"».[2]

ومنه فالأبحاث اللسانية التي قام بها تمام حسان تعتبر تجاوزا للأفكار التي قدّمها كلّ من عبد الرحمان أيوب ومحمود السعران، حيث قام هذا الأخير-تمام حسان- بالربط بين الدلالة والشكل واستثمارها في الدراسات اللغوية القديمة، وصياغتها في قالب جديد مستأنسا بآراء فيرث في دراسة المعنى.

وإلى جانب هؤلاء أيضا يذكر «"ريمون طحان" الذي أكد على ضرورة استثمار المناهج الحديثة في البحث اللساني العربي، فالدراسات اللسانية العربية في نظره لا بدّ من أن تعتمد على البنيانية كعنصر تجديد حتى يكتب لها البقاء ولهذا يقول: «إنّ مراعاة الشكل هو ما يجب أن يكون نقطة انطلاق أحكام النحاة ومقرراتهم ،لأنّ هذا موضوع الدراسة النحوية البنيانية الحقة».

---

[1] ينظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص191، 205.

[2] المرجع نفسه، ص 186.

بالإضافة إلى إبراهيم مصطفى في كتابه "النحو العربي"، "عبد المتعال الصعيدي" في كتابه "النحو الجديد" عبد المجيد عبدين في كتابه "مدخل إلى دراسة النحو العربي"، أنيس فريحة في كتابه "نظريات في اللغة"، وكمال بشر في كتابه "دراسات في علم اللغة"».[1]

إن ما يلاحظ على أعمال هذا الجيل أنها تتسم بقراءة المورث اللغوي العربي قراءة قد تكون إلى حد ما علمية وموضوعية؛ إذ اعتمدوا في قراءتهم على نوعية المقروء وكيفية قراءته ضمن مجموعة من الإجراءات الوصفية.

قام اللسانيون العرب بربط المنهج الوصفي بمجموعة من الإجراءات الأساسية، والتي اعتبروها ضرورية حتى تتم عملية وصف اللغة بطريقة سليمة، ومن هذه الإجراءات ما يلي:

– **الاستقراء:** يرى اللسانيون العرب أنّ المرحلة الأولى من مراحل الوصف هي مرحلة ملاحظة الظواهر اللغوية وسبيل الملاحظة الاستقراء الذي يستلزم جمع المادة ودراستها في ظروف معينة، ويتطلب هذا الاستقراء عددا هائلا من المفردات التي يتناولها، وقد تكون هذه المفردات أصواتا عند دراسة الأصوات، أو حروفا، أو مقاطع أو ظواهر موقعية عند دراسة التشكيل الصوتي، وصيغا عند دراسة الصرف أو أبوابا عند دراسة النحو أو غير ذلك والاستقراء نوعان:

–**الاستقراء التام؛** والذي يعني العدّ والإحصاء.

[1] أنيس فريحة: نظريات في اللغة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1981م، ص 87-89.

– **الاستقراء الناقص**: فيعرفه تمام حسان بأنّه «إجراء الملاحظة على نموذج مختار من جملة الظواهر المدروسة التي لا حصر لها، والاكتفاء بالقليل من الكثير»[1]، وبهذا يعتقد أن هذا الاستقراء حل محل القياس في البحث العلمي منذ قرون.

– **التصنيف**:

إنّ الخطوة الثانية من خطوات البحث الوصفي هي التصنيف أو التقسيم، ويصطلح عليه تمام حسان بأنّه تسمية الأقسام تسمية معينة يطلق عليها "الإصلاحات الفنية"، ويرتبط هذا الإجراء بمفهوم آخر وهو التجريد ويقصد به وضع الاصطلاحات الفنية التي تدل على الأقسام، فالعملية التصنيفية يجب أن تخضع لقانون الحالات الموضوعية، لأن البحث العلمي يجب أن يظلّ بعيدا عن التصنيفات التي تقوم على التقدير الشخصي[2]. إذا التقسيم والتجريد أساسان من أسس البحث الوصفي يعملان على تنظيم عملية الوصف، بحيث لا يقع الباحث الوصفي في فوضى المفردات المبعثرة.

–**التقعيد**:

إنّ وضع القاعدة هي المرحلة الأخيرة من مراحل البحث الوصفي حيث يتوفر للباحث الوصفي «سلوك مطرد معين في تركيب اللغة، فالقاعدة تعبير عمّا يلاحظه الباحث فيصفه، والتقعيد بهذا المفهوم الجديد وصفي لا معياري، فالقاعدة جزء من المنهج لا جزء من اللغة نفسها، فهي تتصف بالعموم ولا تتصف بالضرورة بالكلية

---

[1] فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص 88- 89.

[2] ينظر: تمام حسان: اللغة بين المعيارية والوصفية، ص 149- 150.

والشمول يقول تمام حسان :«أنّ القاعدة في الدراسة الوصفية ليست معيارا، وإنما هي جهة اشتراك بين حالات الاستعمال الفعلية».[1]

ومن الأمور التي يجب على الباحث الوصفي أن يراعيها هي اختصار القاعدة فإذا طالت فقدت عنصر الكفاية، والفائدة العلمية مع إيراد الشواهد والأمثلة التي يجري عليها الاستقراء، وتقوية القواعد وتوضيحها.

وعليه فإن اللسانيين العرب قد حاولوا جاهدين إيجاد هيكل بنيوي لدارسة اللغة العربية، وذلك يربطها باللسانيات الغربية، لكن هذا الارتباط لم يحقق ذلك التطور الذي عرفته اللسانيات العربية، ولم تشهد نموا طبيعيا كالذي شهدته هذه الأخيرة في أوروبا وأمريكا.

[1] المرجع السابق، ص 158.

الفصل الثاني

الملامح الوصفية في الدرس اللغوي الكوفي

- توطئة

المبحث الأول: المفاهيم العامة

1- العلاقة بين الدال والمدلول

2- اللغة والكلام

3- الآنية والتاريخية

4- الإتصال المباشر

المبحث الثاني: المفاهيم البنيوية النحوية التركيبية الخاصة

1- القرائن المعنوية

2- القرائن اللفظية

– توطئة:

وجّه النحاة المحدثون العديد من الانتقادات للنحو العربي القديم، ومن ضمن هذه الانتقادات أنّ النحو التقليدي قد نشأ متأثرا بالفلسفة والمنطق، وبأنّ المعيارية سمة من سماته، ويرجع سبب نظرتهم هذه إلى أنّ النحاة الأوائل قد بنوا قواعدهم النحوية على العقل ،متّخذين التأويل والتقدير أساسا لهم في وضع الأصول النحوية من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ طريقتهم في جمع المادة اللغوية لم تكن الطريقة الأمثل، ويورد عبده الراجحي رأي المجددين فيقول: «فتضييق الحدود الزمانية والمكانية أثناء انتقاء اللغة أبعدهم عن تجسيد الواقع اللغوي، وجعلهم لا يحيطون بجميع جوانب اللغة، وأنّ ما وصل من العربية لا يمثل سوى جزءا صغيرا أو جانبا واحدا منها فقط، ولا يقدم قواعد الكلام العربي في بيئته ولا العربية الفصيحة، وهذا يعتبر في منظورهم تقصيرا في حق اللغة ،غير أنه لا يرى ذلك تقصيرا ،وإنما طبيعة البيئة العربية هي التي فرضت على النحاة التقيد ببعض المعايير حرصا منهم على سلامة اللغة العربية، وعدم ضياعها، ولهذا تشددوا في وضع الأحكام عند انتقاء اللغة».[1]

ورغم الانتقادات التي قدمها النحاة المحدثون والتي كانت بغرض الدعوة إلى تيسير النحو، إلا أنّ هذا لا ينفي أبدا أنهم قد اعتمدوا على ما قدمه النحاة الأوائل في بناء نظريتهم، كما اعترفوا بوجود ملامح للوصف في النحو العربي القديم، ويكفي أنّ «تاريخ النحو العربي يدل على أنّ النحاة العرب القدامى قد اتخذوا في بداية دراستهم النحوية منهج الوصف في تحليل الظواهر اللغوية، وهذا ما أشارت إليه أمهات الكتب، حيث أنهم عمدوا إلى جمع المادة اللغوية وربطها بالاستعمال اللغوي، ثم قاموا بملاحظتها، تصنيفها، تجربتها ثم استقرائها»[2] وصولا

---

[1] عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط1، 2008م، ص 45-46.

[2] علي زوين: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1986م، ص 11-12.

إلى وضع قواعد دقيقة ومحكمة، هذا وإن كانت مدرسة البصرة قد توجهت نحو التأويل والتقدير، إلّا أنّ أكثر المعايير الوصفية قد ظهرت ملامحها «وبشكل جلي في كتاب سيبويه "الكتاب"، والذي سار في وضعه عليها سواء من حيث استقرائه للغة أو اعتماده على السماع المباشر من أفواه العرب، أو احتفائه باللغة المنطوقة».[1]

ولعلّ أكبر دليل يستدل به على وجود الملامح الوصفية في النحو العربي، هو ما أورده العديد من نحاة مدرسة الكوفة، على اعتبار أنها من أقرب المدارس النحوية للمنهج الوصفي المعاصر، ذلك لأن توجهها النحوي نحو السماع، المشافهة، الرواية، والنقل وابتعاد علمائها عن التأويل، وإخضاع الدرس اللغوي لروح المنطق والتركيز على استنباط القواعد من النصوص القرآنية هو ما قادهم إلى تسميتها بالمدرسة الوصفية.

وإن كانت رؤية المحدثين لهذه المدرسة على أنها تناولت الظواهر اللغوية على أساس شكلي، فإن هذا يطرح العديد من التساؤلات منها:

هل يمكن أن يكون العرب سباقين لمبادئ هذا المنهج المنتسب لدوسوسير؟

وهل هناك علاقة بين المنهج الكوفي والمنهج البنيوي؟ وفيما تتجلّى ملامح الوصف عند الكوفيين؟

[1] نوزاد حسن أحمد: المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، دار الدجلة للنشر والتوزيع، دب، دط، دس، ص 15-16.

المبحث الأول: المفاهيم العامة[*]

يمكن توضيح الملامح الوصفية من خلال الاعتماد على مجموعة من المفاهيم اللسانية، والتي يقوم عليها المنهج الوصفي، ومن ضمن هذه المفاهيم:

1- العلاقة بين الدال والمدلول:

لقد شغلت هذه الظاهرة اللغوية علماء العربية، وذلك بسبب اختلاف آرائهم في تحديد نوع العلاقة بين الألفاظ والمعاني، فمنهم من رأى بأنّ العلاقة بين اللفظ والمعنى هي علاقة اعتباطية، فليس بالضرورة أن يكون اللفظ دالا على المعنى، ولا المعنى يكون مرافقا دوما لهذا اللفظ، وهذا ما صرّح به "الجرجاني" (ت471هـ) في كتابه "دلائل الإعجاز" قائلا: «إنّ نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط وليس نظمها بمقتضى المعنى، ولا الناظم لها بمقتف في ذلك رسما في العقل اقتضى أن يتحرّى في نظمه لها ما تحرّاه، فلو أنّ واضع اللغة كان قد قال "رَبَضَ" مكان "ضرب" لما كان في ذلك ما يؤدي إلى الفساد»[1] ،وبهذا يكون الجرجاني قد حسم العلاقة بين الدال والمدلول على أنها اعتباطية قبل دوسوسير.

في حين أنّ علماء آخرين قد ربطوا اللفظ بمدلوله، ويتجلى هذا من خلال كلام "سليمان الصيمري"، وهو أحد المتكلمين المعتزلة، والذي ذكر أنّ بعض علماء العربية قد ذهبوا إلى أن المناسبة بين اللفظ والمعنى طبيعية تحمل

---

[*] استأنس البحث في تقسيمه لمبادئ البنيوية إلى عامة وخاصة إلى مذكرة "مفاهيم لسانية في الفكر النحوي عند سيبويه "دراسة تحليلية في كتابه – مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في الأدب واللغويات –إعداد: أسماء دنايب، المدرسة العليا للأساتذة، قسم اللغة العربية وآدابها، قسنطينة، 2011-2012.

[1] الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح محمود محمد شاكر، مكتبة القاهرة، القاهرة، دط، 1969م، ص 40.

الواضع على أن يصنع لفظا معينا للدلالة على المعنى[1]، وهو يشير في هذا إلى أنّهم جعلوا العلاقة طبيعية، ذلك لأن غياب المعنى عن اللفظ لا يجعل الكلام يستقيم، فالكلمة تقتضي جانبين أساسيين هما الصورة الصوتية والصورة الذهنية، وعليه فاللفظ دائما لا يكون مرتبطا بمعناه.

ويظهر أنّ «"ابن جني" قد كان من أكثر المتحمسين لفكرة وجود صلة بين الأوزان ومعانيها، فقد قاده اهتمامه بهذه الفكرة إلى تتبع بعض الظواهر الصوتية،كما أفرد لها في كتابه "الخصائص" أبوابا تناول فيها تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني والاشتقاقات وغيرها، لكنّ هذا الاهتمام كان مبالغا فيه لأنه جعله يعقد صلات بين جرس الحروف وترتيب أحداثها بناءا على ترتيب أصواتها في الكلام»[2]، ويبدو أنّ النحاة القدامى لم يغفلوا هذه الظاهرة، فقد لمح كل من "سيبويه" و"الخليل" إلى وجود صلة تربط المعنى باللفظ، أمّا الكوفيون فقد تجلت هذه الظاهرة لديهم بوضوح من خلال الطرق التي اعتمدوها في الاشتقاق، سواء في الأسماء أو الأفعال مع وضع الأوزان الخاصة بها.

فمثلا كلمة «(إنسان) قال الكوفيون: أنها على وزن (إفعان) وذلك أنّ أصل لفظة (إنسان) هو (إنسيان) بزيادة حرف الياء، إلا أنّ كلتيهما- إنسان، إنسيان- مأخوذتان من (النسيان)». [3]

وحجتهم في ذلك أنها كثرت في استعمالهم وكلامهم، وجرت على ألسنتهم فبحذف الياء من (إنسيان) تصبح (إنسان)، فقالوا كلتيهما تدلان على معنى واحد وهو النسيان.

---

[1] ينظر: السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، ص 21.

[2] ابن جني: الخصائص، ج2، ص 163-168.

[3] ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين،ج2، ص 295.

هذا وقد ناقش "الكسائي" في كتابه "معاني القرآن" قضايا اشتقاق بعض الكلمات ممّا له أثر واضح في دلالتها، ومن أمثلة ذلك:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾ [يوسف: 07].

قال الكسائي: «لفظة (آية) على وزن فاعلة، والأصل (آيية)، ومثلها (دابة) فأصلها (دابية)». [1]

وأيضا قوله تعالى: ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ [المائدة: 44].

قال الكسائي: «(الأحبارُ) اشتقاقه من الحبر الذي يكتب به، وكلتا الكلمتين تحملان المعنى ذاته، ونفس الرأي لدى بعض العلماء حيث قالوا إنّ (الأحبار) هو الأثر الحسن، فالحبر هو الجمال والحسن».[2]

أما قوله تعالى: ﴿يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الكهف: 94].

قال الكسائي: بأن «(يأجوج ومأجوج) مشتقان من أجيج النار، ويكونان بذلك عربيين،ولم يصرفا جعلا إسمين لقبيلتين».[3]

ويبدو أنّ الكسائي حاول إبراز العلاقة التي تربط بين الكلمات التي وردت في الآيات القرآنية ومشتقاتها محاولا ربط المبنى بالمعنى.

أورد الكسائي في كتابه "معاني القرآن" صورا لبعض الكلمات التي جاءت بصورتين أو أكثر من صور النطق، فتحدث عن أثر تغير دلالة هذه الكلمات أو ثباتها، رغم اختلاف حركاتها ومن أمثلة ذلك:

---

[1] الكسائي: معاني القرآن، تح عيسى شحاتة عيسى، دار قباء، مصر، دط، 1998م، ص 26.

[2] المصدر نفسه: ص 26.

[3] المصدر نفسه: ص 26.

«الرَّشد والرُشد هما لغتان بمعنى واحد.

السَدّ والسُدّ بمعنى واحد.

الزِلزال والزَلزال: فالزِلزال مصدر والزَلزال إسم، وكلاهما بمعنى واحد».[1]

وقد أرجع الكسائي سبب تغير الحركة إلى اختلاف طريقة النطق عند القبائل.

أمّا من حيث الأوزان فقد أشار الكسائي إلى أنّ «صيغتي فَعَل وأفعل تحملان معنى واحد ومن أمثلته:

رَكس وأركس بمعنى واحد أي أرجعهم.

كنّ وأكنّ ؛ كَنَنْتُ الشيء سترته وصنته من الشمس، وأكننته في نفسي أسررته، وكلاهما بمعنى واحد».[2]

وعليه فقد بين "الكسائي" خلال تتبعه لتغير الضبط الحركي، أنّ الألفاظ وإن تغيرت حركاتها في بعض الأحيان، لا يعني أنها قد انصرفت إلى معنى آخر، وإنما المعنى يبقى ثابتا ليدلّ على اللفظ.

أما بالنسبة لوزني فعل وأفعل، فيحملان معنى واحد في لغتين أو لهجتين، في حين يستحيل ذلك في اللغة الواحدة.

---

[1] الفراء: معاني القرآن، دار عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983م،ج1، ص 30.

[2] المصدر نفسه: ص 38.

وجاء في كتاب "معاني القرآن" للفراء أمثلة تناولت العلاقة بين اللفظ والمعنى، ومن هذه الأمثلة ما ورد في الحديث النبوي الشريف، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِرْجِعْنَ مَأْزُورَاتٍ غَيْرَ مَأْجُورَاتٍ».[1]

قال الفراء: إنما «(مَأْزُورَاتٍ) همزت لإحداث الإنسجام الصوتي مع (مَأْجُورَاتٍ) ،وأصلها (مَوزُورَاتٍ)[2] وهي بمعنى ذاته.

أما ثعلب فقد ذكر في كتابه "مجالس ثعلب" أن «السَّتَةُ أصلها سُتَيْهَة وهي ذات الشيء، وإن تغيرت حركتها»،[3] فعلى الرغم من تغير الحركات إلاّ أنّ المعنى واحد.

وكذلك جاء في قوله صلى الله عليه وسلم: «أنا أفصح العرب، تربيت في أخوالي بني سعد، بيد أنّي من قريش»،[4] فقال ثعلب: بأنّ (بَيْدَ بمعنى غَيْرَ، ومَيْد أيضا بمعنى غَيْرَ) [5]، إذن فَبَيْدَ ومَيْدَ لهما نفس المعنى.

وأغلب الأحاديث النبوية التي وظفها الفراء وثعلب تدور في الغالب في فلك المعنى،كما تم الاستشهاد بها في باب المسائل الصرفية.

---

(1) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، تح علي الحلبي الأشري، دار بن الجوزي للنشر والتوزيع، دب، ط1، 1421 هـ، ج5، ص 179.

(2) الفراء: معاني القرآن، ج1، ص308 -309.

(3) ثعلب: مجالس ثعلب، تح عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ط2، دس،ج 1، ص403.

(4) عبد الفتاح الحموز: الكوفيون في النحو والصرف والمنهج الوصفي المعاصر، ص 70.

(5) ثعلب: مجالس ثعلب، ج 1، ص 11.

يتّضح مما سبق أن كلا من الكسائي، الفراء وثعلب قد لمحوا إلى وجود العلاقة الطبيعية التي تربط اللفظ والمعنى، وأنّ اختلاف الألفاظ في حركاتها يرجع إلى كون اللغة العربية مزيج من اللهجات، فكل لهجة قد تأثرت باللهجات الأخرى.

2- اللغة والكلام:

لعلّ أول ملمح من ملامح الاتجاه الوصفي عند النحاة العرب هو تفريقهم بين اللغة والكلام، فاللغة عندهم هي «مجموعة من الأصوات التي يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»[1]؛ أي أنها ذات طبيعة صوتية، تتشكل من أصوات تأتلف فيما بينها محدثة ألفاظا، ومن انتظام هذه الألفاظ في سياق الكلام، تنشأ الجمل والعبارات المترجمة للأفكار، والمشاعر المعبرة عن الأغراض والمقاصد، وأشار "ابن خلدون" في كتابه "المقدمة "إلى تعريف اللغة بأنها «عبارة عن ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني، وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب»[2].

إذن فابن خلدون يرى بأن اللغة ملكة لسانية يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ومقاصدهم.

أمّا الكلام فقد أشار إليه "الجرجاني" في قوله: «أن الفصاحة فيما نحن فيه عبارة عن مزية هي بالمتكلم دون واضع اللغة، وإذا كان كذلك فينبغي لنا أن ننظر إلى المتكلم، هل يستطيع أن يزيد من عند نفسه في اللفظ شيئا ليس هو له في اللغة، حتى يجعل ذلك من صنيعه مزية يعبر عنها بالفصاحة».[3]

---

[1] ابن جني: الخصائص، ج1، ص 34.

[2] ابن خلدون: المقدمة ديوان المبتدأ والخبر، تح خليل شحادة، دار الفكر، لبنان، دط، 2001م، ص 764.

[3] الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 308.

ويبدو من خلال هذه التعريفات أنّ النحاة لم يكن همّهم البحث في اللغة، وإنما كان همّهم البحث في الكلام الذي يقع فيه التفاوت بين المتكلمين.

لقد قرن الكوفيون اللغة بالجماعة على اعتبار أنها مظهر اجتماعي ،ويتضح ذلك من خلال استخدامهم العديد من العبارات الدالة على ذلك، فالكسائي كان يذكر لغات العرب وسماتها ،خصائصها الصوتية ،الصرفية والتركيبية، معتمدا عليها في بيان وجوه القراءات المختلفة، فأحيانا كان يشير إلى القبيلة صاحبة اللغة، وأحيانا أخرى لا يذكر القبائل وإنما يكتفي بقوله وهي لغة.

ومن ذلك ما ذكره الكسائي في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 31] ،فلفظه يَحب، وتَحبّ وأَحِب، يُحب، قال الكسائي: بأنها «لغة بعض قيس وتميم وأسد وهي لغة قد ماتت».[1] أشار الكسائي إلى أنّ لفظة (يحب) كانت تشترك في استعمالها بعض القبائل دون غيرها،تدليلا على ارتباط اللغة بالجماعة.

ومثال آخر ذكره الكسائي في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [الأعراف: 111]، فلفظة «(أرْجِهْ) بمعنى أرجيت الأمر إذ أخّرته، وهي لغة عند قبائل قيس الذين يقولون: أرْجَأْت، وفي لغة تميم وأسد يقولون: أرْجَيْتُه. وقال تعالى: ﴿فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ [النساء: 11]، قرأها الكسائي (فَلإِمِه السُّدُسُ)، وهي «لغة هذيل وهوازن»[2] والاختلاف في الحركة فهذيل بكسر الهمزة وهوازن بالضم.

---

[1] الكسائي: معاني القرآن، ص46.

[2] المصدر نفسه، ص 54.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: 6]، قال الكسائي: «جاءت في لغة عقيل وكلاب»[1]، وذلك بتسكين حركة المتحرك كقولهم "لرَبْهْ".

وفي مثال آخر قال: ما زيدٌ منطلقا، «لغة تهامة ونجد»[2]، ما المشبهة بليس.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 8]، قال الكسائي: «(ناس) و(أناس) هما لغتان ولم ينسبهما فإحداهما أولى من الأخرى».[3]

ويتضح من خلال هذه الأمثلة أن تعليقات الكسائي على الآيات القرآنية جاءت حافلة بالظواهر اللهجية سواءا المنسوبة منها إلى القبائل أو غير المنسوبة، وبالنسبة للفراء فقد سار على نهج الكسائي، فأحيانا كان ينسب اللغة إلى قائلها، وأحيانا أخرى كان يكتفي بقوله: وهي لغة دون تحديد القبيلة المنسوبة إليها.

قال تعالى: ﴿هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ [الأنعام: 136]، قال الفراء: «بزُعْمِهم، وبزِعْمِهم ثلاث لغات، ولم ينسبها»[4]، في حين نسبها علماء آخرين إلى (لغة الحجاز وبني أسد وتميم وقيس).[5]

أمّا استعمال لفظة (الكلام) فقد ظهرت في العديد من الأمثلة التي أوردها الكسائي، وغيره من الكوفيين فغالبا ما كانوا يقرنونها بالاستعمال على اعتبار أنّ الكلام نشاط عملي، مرتبط بالمتكلمين.

---

(1) الكسائي :معاني القرآن، ص 52.

(2) المصدر نفسه، ص 57.

(3) المصدر نفسه، ص 45.

(4) الفراء: معاني القرآن، ج1، ص 356.

(5) الكسائي: معاني القرآن، ص 48.

ومن أمثلته«(ورد في كلام العرب)، (وفي كلام بعض القبائل)»،[1] ويظهر ربطهم للكلام بالبعد الإستعمالي أوضح فيما ذكره ابن الأنباري في كتابه "الإنصاف في مسائل الخلاف" حيث يقول: «كان الكوفيون يجيزون في بعض القواعد إمّا لكثرة ذلك في كلامهم، واستعمالهم إياه، أو لكثرة الاستعمال، أو الاستعمال كثير في كلامهم أو لما كثُر في كلامهم وجرى على ألسنتهم».[2]

وخلاصة القول أنّ الكوفيين لم يختلفوا في نظرتهم للكلام واللغة عن دوسوسير، فغالبا ما كانوا يقرنون اللغة بالجماعة على اعتبار أنها نتاج اجتماعي، أمّا الكلام فهو نتاج فردي يعبر به المتكلم عن مقاصده.

3- الآنية والتاريخية:

أعاب البنيويون المحدثون على النحاة القدامى تحديدهم لعصر الاستشهاد، وتضييق الحدود الزمانية والمكانية في انتقاء اللغة، غير أنّ هذا التضييق لم يكن ملزما عند الكوفيين، لأنهم كانوا أكثر تحررا من البصريين، فهم وسّعوا دائرة مسموعاتهم، واستشهدوا بالكلام العربي سواء أكان شعرا أو نثرا، أو لهجات لقبائل، وهذه التوسعة تعد من الأسس الرئيسية التي يقوم عليها المنهج الوصفي المعاصر، لأنّ رواده وأنصاره يدعون إلى وضع القواعد والأصول قياسا على اللغة المستخدمة بمستوياتها المختلفة، لا التقيد بالقواعد والأصول الذهنية ،وهي قواعد وأصول لابد فيها من إخضاع اللغة المنطوقة أو المكتوبة لأي مستوى أو مكان أو زمان.[3]

---

[1] المصدر السابق، ص 46-47.

[2] الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين و الكوفيين، ج2، ص 295.

[3] ينظر: عبد الفتاح الحموز: الكوفيون في النحو والصرف والمنهج الوصفي المعاصر، ص 15.

لقد قام البصريون بتحديد القبائل التي يحتجون بها –على اعتبار مدى فصاحتها وهي قبائل «قيس، تميم أسد، هذيل وبعض كنانة– فيما كان الكوفيون يحتجون بكلام هذه القبائل الفصيحة، بالإضافة إلى قبائل أخرى كَلخمْ، جُذَامْ، مصْر، اَلقبط، غَسَّانْ، تَغْلبْ، النمَّيْر، بَكْرْ، الحجاز، سكان الحضر، ثَقِيف، والطائف».[1]

وممّا يدل على احتجاج الكوفيين بهذه القبائل ما ذكره الفراء حينما قال:«وسمعت بعض قضاعة». يقول:«إجْتَحَى مالَهُ، واللغة الفاشية، إجْتَاحَ ما لَهُ...»، قال أيضا: الفندق مثل الخان، قال الفراء: «وسمعت أعرابيا من قضاعة يقول :فُنْتُقُ».[2]

وقوله أيضا: «وزعم الكسائي أنه سمع بعض أهل العالية».[3]

ومن هذه اللغات أيضا لغة أهل اليمن والتي قرأ بها ثعلب، الكسائي، والفراء، في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ﴾ [سبأ: 15] ،فقالوا بأنها: «لغة يمانية فصيحة».[4]

ومنها أيضا لغة حضرموت والتي استشهد بها الفراء في قوله: «حدثني حبان عن الكلبي عن أبي صالح بن العباس فقال: اللَّهْوُ الولد بلغة حضرموت».[5]

---

(1) جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، ج1، ص 128.

(2) الفراء: معاني القرآن، ج2، ص 124.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص 232.

(4) الفراء :معاني القران، ج2، ص 357.

(5) المصدر نفسه، ج2، ص 200.

إضافة إلى أزد عمان، والتي قال فيها الفراء عن ابن عباس قال: «البُور في لغة أزد عمان، الفاسد، وكنتم قوما بورا، قوما فاسدين، والبور في كلام العرب لا شيء ...»، ومنها لغة عمان وبني حنيفة وغيرهما».[1]

أمّا الكسائي فقد احتج بكلام الأعراب من سواد الكوفة ،وأعراب سواد بغداد من أعراب الحطمة، وسكان الأرياف التي اعتمد عليها في المسألة الزنبورية.[2]

ولا يعني استشهادهم بكل هذه القبائل أنهم لم يكونوا متشددين من حيث انتقاء اللغة، فقد استهجنوا بعض اللغات واستبشعوها في حين استشهد بها البصريون، أمّا الفراء والكسائي فقد أنكراها واعتبراها شاذة، أمّا من حيث استشهادهم بالشعر فقد استشهد الكوفيون «بأغلب طبقات الشعراء ،كاستشهادهم بالطبقة الرابعة والتي تشمل المولدين والمحدثين ومن جاء بعدهم كبشار بن برد، وأبي نواس، والطبقة الثالثة التي تشمل الإسلاميين كجرير والفرزدق».[3] وغيرهم في حين لم يحتج البصريون بهاتين الطبقتين.

ويبين ذلك قول مهدي المخزومي: «والشعر العربي جاهليّه وإسلاميّه ومحدثه كان أيضا مصدرا من مصادر الدراسة الكوفية، ومحتجا للكوفيين وأساسا بنوا كثيرا من أصولهم عليه».[4] هذا وقد كان الكوفيون ينسبون الشعر لقائله، وأحيانا أخرى يكتفون بذكر البيت الشعري دون نسبته لقائله.

---

[1] المصدر السابق، ج2، ص 66.

[2] ينظر: عبد الفتاح الحموز، الكوفيون في النحو والصرف والمنهج الوصفي المعاصر، ص 22.

[3] المرجع نفسه: ص 30.

[4] مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة و منهجها في دراسة اللغة و النحو، ص 333.

ومن أمثلة ذلك قول عدي بن زيد العبادي:

اسْمَعْ حديثاً كَمَا يوماً تُحَدِّثَهُ عَنْ ظَهرِ غَيْبٍ إذا مَا سَائلٌ سَأَلَا[1]

قال ابن قيس:

وإنَّ امْرءًا أَسْـرَى إلـيْك ودُونَـهُ مِن الأَرْضِ مَوْمـاةٌ وبَيْداءُ سَـمْـلَـقُ[2]

قال صخر الغي:

جَاءَتْ كَبِيرُ كَمَا أَخْفِرُهَا وَالقَوْمُ صَيْدٌ كَأَنَّهُمْ رَمِدُوا[3]

قال راجز:

قَدْ عَلِمَتْ أُمُّ أَبي السِّعْلَاءِ* وَعَلِمَتْ ذَاكَ مَعَ الجِرَاءِ [4]

قال آخر:

تمرُّ على ما تستمرُّ، وقد شَفَتْ غَلَائِلَ عبدُ القَيْسِ منها صُدُورهَا[5]

---

[1] عبد الفتاح الحموز: الكوفيون في النحو والصرف والمنهج الوصفي، ص 47.

[2] الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين و الكوفيين، ج1، ص 57.

[3] الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين و الكوفيين، ج2، ص 585.

* السعلاء: أصلها السعلاة، واللهاء أصلها: اللهاة.

[4] المصدر نفسه، ج2، ص 746.

[5] عبد الفتاح الحموز: الكوفيون في النحو والصرف والمنهج الوصفي المعاصر، ص 30.

أمّا الفراء فقد أكثر من الاستشهاد بشعر الطبقات الثلاث «كطبقة الشعراء الجاهليين أمثال امرؤ القيس والأعشى، والمخضرمين كلبيد وحسان، وطبقة الشعراء الإسلاميين كجرير، الفرزدق ،الأخطل »[1] وغيرهم.

ومن أمثلة ما ذكره قول جرير:

فأيهاتَ أيهاتَ العَقِيقُ وَمَنْ بِهِ وأيهاتَ وَصْلٌ بالعَقِيقِ* نُوَاصِلُهْ[2]

وقول ابن مقبل:

ومَا الدّهرُ إلّا تارتانِ فمنهمَا أموتُ وأُخرى أَبتغِي العيشَ أكدحُ[3]

وقال الأعشى:

وتُشْرِقُ بالْقَوْل الَّذِي قدْ أَذَعْتهُ كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ الْقَنَاة من الدَّم[4]

وقال عنترة:

وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأَ سُقْمَها قَوْلُ الفَوَارِسِ وَيْكَ عَنْتَرَ أَقْدِمِ[5]

---

[1] خديجة الحديثي :المداري النحوية، ص 139.

* العقيق: واد لبني كلاب.

[2] الفراء: معاني القرآن، ج2، ص235.

[3] المصدر نفسه،ج2، ص323.

[4] المصدر نفسه، ج2، ص328.

[5] المصدر نفسه، ج2، ص312.

وقال امرؤ القيس:

فَقُلْتُ يَمِينَ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِدا وَلَوْ قَطَعُوْا رَأسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي[1]

وقول حسان:

أَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ ويمدَحُهُ، وينصُرُهُ سَواءُ[2]

وخلاصة القول فإن الفراء قد كان أكثر تحررا في استشهاده بشعر جميع الطبقات ،مثله مثل سائر الكوفيين الذين قاسوا نحوهم على الشواهد الشعرية، والتي أنكرها البصريون واعتبروها شاذة ولا يجوز الاستشهاد بها.

أما الكسائي فقد استشهد بالعديد من الأشعار كاستشهاده بأقوال قبيلة قضاعة.

قال الشاعر:

بَذَلْنا مارِنَ الخُطَى فيهِمْ وكُلُ مُهَنَّدٍ ذَكَرٍ حُسَامِ

مِنَا أَنْ ذَرَّ قَرْنُ الشمسِ حتَّى أغابَ شَرِيدُهمْ قَتَرُ الظَّلام»[3]

---

[1] الفراء: معاني القرآن، ج2، ص 251.

[2] المصدر نفسه، ج2، ص 315.

[3] الكسائي: معاني القرآن، ص 61.

وقال زهير بن أبي سلمة:

وأُنْبِئْتُ أنَّ رَسُولَ اللهِ أَوْعَدَنِي والعَفْوُ عنْدَ رَسُولِ اللهِ مَأْمُولُ[1]

وذكر أيضا بيتا للنابغة الذبياني يقول فيه:

لوْ أنَّها عُرِضَتْ لأشمطَ راهبٍ يخشَى الإلهُ صرورةً مُتعبِّدِ[2]

وأنشد قولا آخر:

ونُنْكِر يوم الرَّوْع ألواناً خَيْلَنا مِن الطَعنِ حتّى نَحسبَ الجَوْن أشقرَا[3]

وأنشد الكسائي:

فلمَ دَفنتمْ عُبيدَ اللهِ في حدثٍ ولمَ تعجلتمْ ولمْ تروحونَا[4]

إن تجاوز الكوفيين للحدود الزمانية والمكانية التي وضعها البصريون، وكثرة الشواهد لديهم كان بغرض تعزيز أصولهم النحوية ووضع قواعدهم، فقلّما توجد قاعدة عند أحد أئمتهم إلاّ ودعّمت ببيت شعري، حتى ولو كان قائله مجهولا.

---

[1] الكسائي :معاني القرآن، ص 172.

[2] المصدر نفسه، ص 90.

[3] الفراء: معاني القرآن، ج1، ص 134.

[4] الكسائي: معاني القرآن، ص 229.

4- الاتصال المباشر:

عمد علماء العربية منذ القدم إلى مادة خاصة تخيّروها لتكون موضوعا لدراستهم اللغوية، وهذه المادة تمثلت في اللغة المنطوقة، فهم في اختيارهم قد خالفوا نظرائهم الغربيين الذين اختاروا المادة المكتوبة أولا، ولقد أثبتت الدراسات الحديثة أسبقية المنطوق على المكتوب، وبهذا فإنّ للعرب فضل السبق في هذه القضية، وهم بعد هذا لم يلازموا المنطوق ولم يتوقفوا عنده، بل إنهم أدخلوا النصوص في دراستهم اللغوية ،لكنهم في الحقيقة بقوا مرتبطين ارتباطا وثيقا بالسماع،الذي عرّفه السيوطي بقوله :«هو ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته، فشمل كلام الله تعالى وهو القرآن، وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم، وكلام العرب، قبل بعثته، وفي زمنه، وبعده إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين، نظما ونثرا، عن مسلم أو كافر».[1]

وقد حرص الكوفيون منذ القديم على سماع الكلام العربي المنظوم والمنثور من أعراب يثقون بهم، إذ كان بعضهم ينتقل إلى البوادي ويلتقي بالأعراب ويسمع منهم ويدون ما سمعه، «ثم يخضع ما جمعه وسمعه للتصنيف والتوزيع على حسب الحركات الإعرابية أو الصرفية أو غيرها».[2]

ولعلّ هذا الجمع، الإحصاء والتوزيع يلتقي والمنهج الوصفي المعاصر، ومما يشهد على اعتداد الكوفيين بالمسموع من الكلام العربي وتقيدهم به في بناء الأصول والأحكام ،تلك الإشارات التي تظهر في أعمال الكسائي «الذي أنفذ خمس عشرة دوات حبر في تدوين ما سمعه من الأعراب والبوادي.

---

(1) السيوطي: الإقتراح في أصول النحو، تح عبد الحكيم عطية، دار البيروتي، دب، ط2، 2006م، ص39.

(2) عبد الفتاح الحموز: الكوفيون في النحو والصرف والمنهج الوصفي المعاصر، ص 13.

وفي هذا يقول ابن درستويه: «كان الكسائي يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلاّ في الضرورة فيجعله أصلا ويقيس عليه ...» [1]

إضافة إلى ذلك فإن المطلع على نصوص الكسائي في كتابه "معاني القرآن" يجد أنّ أغلب أمثلته تدور حول السماع من العرب، إذ أنه كان دائما ما يوظف عبارات تؤكد على التزامه بالمسموع، ومن ذلك عبارة: «"سمع الكسائي عن العرب"، "حكى الكسائي عن العرب»[2]، وهي تتردد كثيرا لديه.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير: 26]، قال الكسائي: «سمعت العرب تقول: إنطلق به فورا»[3]، وأيضا في قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: 180]، ومما يدل على دقة الكسائي في السماع تفريقه بين «الإلحاد واللّحد فيقول: الإلحاد هو العدول عن القصد، واللّحد الركون إلى الشيء».[4]

وأيضا قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: 86]، فقال عبد الله بن صلاح العجلي: «سألت الكسائي عن قوله: التحيات ما معناها، فقال: التحيات مثل البركات، فقلت: ما معنى البركات فقال: ما سمعت فيها شيئا».[5]

---

[1] المرجع السابق، ص 13.

[2] الكسائي: معاني القرآن، ص 16.

[3] المصدر نفسه، ص 21.

[4] المصدر نفسه، ص 22.

[5] المصدر نفسه، ص 22.

يتبين ممّا سبق أنّ الكسائي كان يركز على السماع متخذا منه أساسا في تفسير بعض الألفاظ الواردة في القرآن الكريم.

وخير مثال على اعتداد الكسائي بالمسموع ما رُوي عنه حينما سُئل عن عدم «نصب (أيٌّ) وسبب بنائها في مثال: ضربتُ أيّهُمْ في الدارِ فقال: لا يجوز، قال: لم؟ قال: أيٌّ هكذا خُلقت، وكان ذلك في حضرة يونس فغضب لذلك».[1]

وورد أيضا عن "الكسائي" أنّه رد على "سيبويه" في "المسألة الزنبورية" بما سمعه عن الأعراب، حينما قال سيبويه:«كنت أظنّ أنّ العقربَ أشدُّ لسعةً من الزنبورِ، فإذا هوَ هي.

فقال له الكسائي: لحنت، ليس هذا من كلام العرب، فلا يجوز النصب، والعرب ترفع ذلك كلّه وتنصبه فيقال: فإذا هو إيّاهَا».[2]

وما يمكن استنتاجه من هذه المسألة المشهورة في النحو أنّ الكسائي قد استند إلى السماع أثناء مناظرته لسيبويه.

وردت في كتاب "معاني القرآن" للفراء العديد من العبارات التي تعزز اعتداده بالسماع، كقوله: «(قال بعض العرب)، (سمعت العرب)، (سمعت أعرابيا) ،(سمعت أعرابية)، (أنشدني بعض العرب)، (سمعت بعض العرب تقول)، وقوله أيضا: (ولا أراهم رَوَوْه إلاّ وقد سمعوه)» [3] ... وغيرها.

---

[1] عبد الفتاح الحموز: الكوفيون في النحو والصرف والمنهج الوصفي المعاصر، ص 136. نقلا عن السيرفي: أخبار النحويين البصريين، ص 27-28.

[2] الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين و الكوفيين، ج2، ص 706.

[3] الفراء: معاني القرآن، ج1، ص 14-50-58-90-217-299.

ومن أمثلة ذلك أيضا ما ذكره الفراء في قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286] «فالوُسع إسم في مثل معنى الوُجد والجُهد، ومن قال في مثل الوُجد: الوَجد، وفي مثل الجُهد: الجَهد قال في مثله من الكلام: «لا يكلفُ اللهُ نفساً إلا وُسعَهَا» ولو قيل وَسعها لكان جائزا، ولم نسمعه».[1]

وما يلاحظ في هذا المثال أنّ الفراء قد نحا نحو السماع لإثبات الضمة على (الوُسع)، غير أنّه يجوز الفتح .

وفي قوله تعالى: ﴿كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾ [البقرة: 259]، يقول الفراء: «نَنْشُزُها قرأها زيد بن ثابت كذلك والإنشازُ نقلها إلى موضعها ،وقرأها بن عباس «نُنْشِرُها» إنْشَارُها: إحياؤها، واحتج بقوله: «ثُمَّ إذاَ شَاءَ أَنْشَرَهُ» وقرأها الحسن –فيما بلغنا– (نَنْشُرُهَا) ذهب إلى النشر والطي، والوجه أن تقول: «أَنْشَرَ اللهُ المَوْتَى فَنَشَرُوا إذا حَيُوا» وسمعت بعض بني الحارث يقول: كان به جَرَبٌ فَنَشَر، أي عَادَ وحَيِي»،[2] فهنا يرجع الفراء إلى الاستدلال بما سمعه من كلام العرب.

وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾ [البقرة: 148]، «فالعرب تقول: هذا أمرٌ ليسَ لهُ وِجْهَة، وليسَ لهُ جِهَةٌ وليس له وَجْهٌ وسمعتهم يقولون: وَجَّهَ الحَجَر جِهَةُ مَالِهِ، وَوِجْهَةُ مَاله، وَوَجَّهَ ماله، ويقولون: ضَعْهُ غَيْرَ هذه الوَضْعَة والضِّعَة والضَّعة، ومعناه وَجَّه الحجر فله جهة، هو مَثَل، أصله في البناء يقولون:إذا رأيت الحجر في البناء لم يقع موقعه فَأَدِرْهُ فإنّك ستقع على جِهَتِه، ولو نصبوا على قوله :وَجَّهَه جِهَتهُ لكان صوابا».[3]

---

(1) الفراء: معاني القرآن ،ج1، ص 188.

(2) المصدر نفسه، ج 1، ص173.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص 90.

وتؤكد هذه الأمثلة التي قدمها الفراء في كتابه على أنه كان يوثق أقواله على ما قالته العرب ،وعلى ما سمعه منهم.

وتشيع أيضا في مؤلف ثعلب –مجالس ثعلب– ألفاظ تنبئ على اعتداده بالسماع ومن هذه الألفاظ «حدثني، حدثنا، أنشدني، وحكى»[1] وغيرها.

إن طريقة الكوفيين في التوسع ونقل اللغة العربية لم يكن عن اضطراب منهج، بل كان يقوم على منهج واضح، وهو الوثوق بالأعراب الذين يأخذون عنهم، فرحلات الكسائي ،الفراء ،وثعلب وغيرهم من النحاة الكوفيين في جمع اللغة كونت لديهم سليقة عربية سليمة، وحسّا مرهفًا جعلهم قادرين على تمييز اللغة الجيدة من غيرها، كما أتاحت لهم الفرصة للإحاطة بجميع مستويات اللغة في بيئاتها المختلفة، ومكنتهم من تتبع الظواهر اللغوية وجعلتهم أكثر تحررا في الأخذ بالكلام العربي، فدرسوا النحو والصرف معتمدين على الظاهر الموجود أمامهم دون اللجوء إلى التأويل أو التقدير.

[1] ثعلب: مجالس ثعلب، ص 36-366-369-22.

المبحث الثاني: المفاهيم البنيوية النحوية التركيبية الخاصة

لقد عمل اللغويون العرب حديثا على محاولة إعادة وصف اللغة العربية في المستويات الآتية: المستوى الصوتي، الصرفي والتركيبي، اعتمادا على الجهود اللغوية العربية القديمة، ويتجلى ذلك بوضوح في اهتماماتهم بالمستوى التركيبي بعد الدعوة إلى دراسة النحو دراسة شكلية وصفية، ولعل أهم تجربة حاولت مقاربة مستويات التحليل اللغوي على اختلاف تجلياتها تجربة تمام حسان، والتي اكتفت ببيان أهم الأسس التي بني عليها النظام النحوي من اعتماد:

1- معاني الجمل والأساليب، 2- المعاني النحوية، الفاعلية، المفعولية والإضافة، 3- قرائن معنوية تربط المعاني الخاصة من الفاعلية والمفعولية، 4- ما يقدّمه علم الصرف والصوت من قرائن لفظية، 5- القيم الخلافية بين أحد أفراد كل عنصر مما سبق وبين بقية أفراده.

وخلص تمام حسان إلى فكرة "تظافر القرائن" التي جمع من خلالها العلاقات المعنوية واللفظية، لما قرّر أن التظافر يقتضي: بأنه لا يمكن لعلاقة واحدة أن تدل بمفردها على معنى بعينه[1] بل لابد من وجود علاقات أخرى حتى يتحقق المعنى الكامل.

1- القرائن المعنوية:

وتكون بالعلاقات السياقية، إذ تساعد في تحديد المعنى النحوي، وتشمل الآتي (الإسناد، التخصيص النسبة، التبعية، والإخراج).

---

[1] ينظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 178-193.

1-1- الإسناد:

وهي العلاقة التي تقوم بين المسند والمسند إليه، فهما الركنان الأساسيان اللذان تتألف منهما الجملة سواء كانت فعلية أو إسمية ؛أي التي تربط المبتدأ بالخبر، أوالتي تكون بين الفعل والفاعل، والإسناد قرينة معنوية توجه المعنى الوظيفي.[1]

وأشار الكوفيون إلى هذه العلاقة –الإسناد- واعتبروها علاقة توجب توفر كلا طرفي الإسناد حتى يتم المعنى فقالوا: بأن المبتدأ يرفع الخبر، والخبر يرفع المبتدأ فهما يترافعان.

ومن أمثلة الإسناد عند الكسائي والفراء ما يلي:

أورد الفراء قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: 1-2]، وهي جملة اسمية مكونة من مبتدأ وخبر لأنهما في موضع الرفع، «فالحاقة الأولى مرفوعة بهما ،وقد جعل الفراء الحاقة الثانية مرفوعة بـ "ما" وذلك كقولك: الحاقة ما هي؟ والثانية، راجعة على الأولى».[2]

وقال تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: 1-2]، «فـ"ما" في موضع رفع بالقارعة الثانية، والأولى مرفوعة بجملتها»،[3] وهي أيضا جملة اسمية مكونة من مبتدأ وخبر.

قال تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران: 150]، وفي هذا المثال يجيز الفراء الرفع والنصب، إذ يقول: «رفع على الخبر ولو نصبته: بلْ أطيعُوا اللهَ مولاكُم كانَ وجهاً حسناً».[4]

---

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 191.

(2) الفراء: معاني القرآن، ج3، ص 179-180.

(3) المصدر نفسه، ج3، ص 180.

(4) الفراء: معاني القرآن، ج1، ص 237.

إذا (اللهُ مَولاَكُمْ) مبتدأ وخبر أجاز الفراء ترافعهما،كما أجاز نصب لفظة الله على المفعولية للفعل أطيعوا المضمر.

وأورد الكسائي قوله تعالى: ﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾ [النور: 58]، (ثلاثُ) مبتدأ، و(عوراتٍ) مضاف إليه قال الكسائي: «والعوراتُ الساعاتُ التي تكون فيها العورة ،والرفع عند الكسائي في (ثلاثُ) بالإبتداء ،والخبر عنده ما بعده»[1]؛ أي عورات .إذا فالمبتدأ والخبر عند الكسائي يترافعان.

قال تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: 37]، وفي هذا المثال يجيز الفراء الرفع والنصب إذ يقول: «من شدّد جعل زكرياء في موضع نصب؛ كقولك ضمنها زكرياء، ومن خفف الفاء جعل زكرياء في موضع رفع».[2] فالجملة الفعلية مكونة من مسند ومسند إليه،زكريا المسند إليه في حال التخفيف فأكفَل،والضمير المستتر مسند إليه وزكريا مفعول به في حال شددت فأكفلّ.

وأجاز الفراء في قوله تعالى: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: 55]، «رفع (السبيلُ) بقوله (ولتَسْتَبِينَ) لأن الفعل له، ومن أنث السبيل قال: «وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ»[3]، فالجملة الفعلية مكونة من مسند ومسند إليه، فالفعل (لتستبين) أسند إلى الفاعل المرفوع (سبيلُ).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [النحل: 124]، الفعل (جُعِلَ) في الآية الكريمة مبني للمجهول فرفع (السبتُ) وهي نائب فاعل له، ويذكر الفراء قراءة أخرى «ببناء الفعل للمعلوم مع إضمار اسم لفظ الجلالة فاعلا؛ أي جعل اللهُ السبتَ»[4]، و (السبتَ) جاءت منصوبة مفعولا به.

---

(1) الكسائي: معاني القرآن، ص 203.

(2) الفراء: معاني القرآن، ج1، ص 208.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص 337.

(4) الفراء: معاني القرآن، ج2، ص 114.

يتضح من هذه الأمثلة أن الكوفيين قد بنوا هذه القاعدة على الوصف ،حيث جعلوا المبتدأ والخبر يترافعان وحجتهم في ذلك أن المبتدأ لابد له من خبر، والخبر لابد له من مبتدأ، فلا ينفك أحدهما عن صاحبه، ولا يتم الكلام إلا بهما، وكذلك فعلوا مع الفعل والفاعل، فرفعوا للسماع على الفاعل ونائب الفاعل، ونصبوا على المفعولية.

1-2- التخصيص: تكشف قرينة التخصيص عن قسم من العلاقات تفيد تقييد المعنى الإسنادي، أو ما يقع في حيزه وتضييقا له، والتخصيص علاقة نحوية عامة تربط بين المعنى الإسنادي المستفاد من المسند، وطائفة من المنصوبات تشتمل على المفعولات الخمسة، الحال، المستثنى والتمييز.[1]

وقرينة التخصيص قرينة معنوية كبرى تتفرع منها قرائن معنوية أخص منها وهي:

1-2-أ- قرينة التعدية: تخص المفعول به، وهي العلاقة بين معنى الحدث في جملة الإسناد.[2]

وقد تجلت هذه العلاقة بينة في أمثلة الكسائي والفراء:

أورد الفراء قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: 37]، «فلفظة (آدمُ) مرفوعة و(الكلمات) في موضع نصب».[3] فالفعل (تلقَّى) من الأفعال التي يتشارك فيها الفاعل والمفعول في صحة الإسناد إلى كل منهما، فأسند الفعل (تلقّى) إلى (آدمُ).

---

[1] ينظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 42.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 192.

[3] الفراء: معاني القرآن، ج1، ص 28.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: 41]، يقول الفراء: «(كل ما في القرآن من هذا قد نصب فيه الثمن)» [1]، ف (ثمناً) مفعول به منصوب للفعل (تشترُوا).

وأجاز الكسائي في قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: 1]، «(تنزيلَ الكتابِ) بالنصب على أنه مفعول، قال: أي اتبعوا واقرءوا تنزيل الكتاب»،[2] إذا فلفظة (تنزيلَ) مفعول به منصوب لفعل محذوف.

وتحدث الكوفيون عن هذه القرينة من باب الفاعلية والمفعولية، حيث جعلوا المفعول به قيدا للفعل والفاعل معا، لأن الناصب في المفعول هو الفعل والفاعل معا، ولو كان الناصب للمفعول هو الفعل وحده لكان يجب أن يليه ولا يجوز أن يفصل بينهما.

1-2-ب- قرينة المعية:

وتخص «المفعول معه والمضارع بعد الواو وهي علاقة مصاحبة».[3]

ومثال ذلك ما ذكره الفراء في قوله تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ [القلم: 44].

---

[1] المصدر السابق، ج1، ص 30.

[2] الكسائي: معاني القرآن ،ص 43.

[3] تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 194.

يقول الفراء: «معنى فذرني ومَنْ يكذّبُ، أي كلّهم إلّا أنتَ، تقول للرجل: لو تركْتُكَ ورَأيَكَ مَا أفْلَحتَ أي لو وكلتكَ إلى رأيِكَ لم تُفلِح» [1]، فالواو هنا جاءت للربط تخص المصاحبة والمعية.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: 11][2]، ف (مَنْ) في موضع نصب،فالواو للمعية و(مَن) مفعول معه.

وذكر ثعلب في المثالين «(ما أنتَ وزيدٌ، وما أنتَ والباطلُ)، قال: وربما نصبوا (الباطلَ) وهو قليل، وقال أبو العباس: كلام العرب ما أنتَ وقَصعةٌ من ثريدٍ » [3]، والواو جاءت بمعنى مع،غير أنّ ثعلب ذكر بأنّ النصب على المفعولية نادر.

قال الفراء: «(ألا يجوزُ ويقصدُ) رفع الفعل بعد الواو مستندا على قول الشاعر:

لا تَنهَ عَن خُلُقٍ وَتَأتِيَ مِثلَهُ عارٌ عَلَيكَ إذا فَعَلتُ عَظيمُ»[4]

فما بعد الواو عند الفراء مفعول معه.

وذكر «ثعلب في البيت الشعري، قال الشاعر:

و كُونُوا أَنْتُمُ وبَنِي أَبِيكُمْ مَكَانَ الْكُلْيَتَيْنِ مِنَ الطِّحَالِ

قال: وبَني أبيكُمْ، يمكن القول مَعَ بني أَبيكُمْ»[5]، الواو للمعية، وما بعدها منصوب على المعية.

---

[1] الفراء: معاني القرآن، ج3، ص 177.

[2] المصدر نفسه، ج3، ص 201.

[3] ثعلب: مجالس ثعلب، ص 103.

[4] الفراء: معاني القرآن، ج1، ص 34.

[5] ثعلب: مجالس ثعلب، ج1، ص 103.

وفي المثال «إستوَى الماءُ وَالخشبةَ؛ أي جعلوا الواو بمعنى مَعَ»[1]، فيقال: إسْتوَى الماءُ مَعَ الخشبةَ.

ذهب الكوفيون إلى أن المفعول معه منصوب على الخلاف، لأنه لا يحسن تكرير الفعل فخالف الثاني الأول، فانتصب على الخلاف، والواو قرينة لفظية جاءت بمعنى "مَعَ".

1-2-ج- قرينة التحديد والتوكيد:

تخص المفعول المطلق الذي يعزز المعنى الذي يقيده الحدث في الفعل، فالتحديد يكون بإيراد مصدر الفعل والتوكيد بتقوية الفعل بإيراد مصدره.[2]

ومن أمثلة ذلك عند الفراء:

قال تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: 24]، ولفظة (كتابَ) منصوبة على أنها مفعول مطلق مؤكد لما قبله؛ أي (كتاباً منَ اللهِ عَليْكُمْ)، و«لا يجيز الفراء نصبه بعَليْكُم الظاهرة»[3]، لأن مفعول اسم الفعل لا يقدم عليه، وإنما يجوز نصبه باسم فعل مضمر قبله ؛أي (عَليكمْ كتابَ اللهِ عَليكمْ).

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ [النساء: 81].

---

[1] الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ج2، ص 227.

[2] ينظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 198.

[3] الفراء: معاني القرآن، ج1، ص 260.

أجاز الفراء في لفظة (طاعة) الرفع والنصب؛ فالرفع على قولك: منَّا طَاعةٌ أوْ أمْرُكَ طاعةٌ، ومعناه قولوا: سَمعٌ وطاعةٌ، أمّا النصب فقيل ذُكِر فيها القتال بالطاعةَ أو على الطاعةَ.[1]

فلفظة (طاعةَ) مفعول مطلق ناب مناب فعله أي يقولون: نطيعُ.

قال تعالى: ﴿مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 236].

وجه الفراء لفظة (حَقًّا) منصوبة ،لأنها مصدر المفعول المطلق لفعل محذوف، أي أحقّ ذلك حقاً على المحسنين ،ولم يجز وجه النصب فيها على النعت[2].

وهذه القرينة وظفت لدى الكوفيين بغرض تقوية المعنى وتأكيده.

1-2-د- قرينة الظرفية: وتخص المفعول فيه، وتخصيص زمان الحدث ومكانه.

- ظرف الزمان: ومن أمثلته عند الفراء:

قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [آل عمران: 25]،

أجاز الفراء في لفظة «(يومَ) النصب على الظرفية، على أن تكون اللام تضمنت معنى في».[3]

فلما صلح في(يوم) أن تدخل عليها (في) بدلا من (اللام)، أي (في يومٍ لَا ريبَ فيهِ) جاز النصب على الظرف.

---

[1] ينظر: الفراء: معاني القرآن، ج1، ص 278-279.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص 154.

[3] المصدر نفسه، ج1، ص 202.

قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة: 26]

(أربعينَ) ظرف زمان منصوب، وأجاز الفراء العامل فيه وجهان؛ «إما أن تكون لفظة (مُحَرَّمَةٌ)، أو بالفعل (يتيهُونَ)، يقول الفراء: منصوبة بالتحريم، ولو قطعت الكلام فنصبتها بقوله (يتيهُونَ) كان صوابا»،[1] وفي كلتا الحالتين هي منصوبة مخصصة للزمن.

قال تعالى: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ [الأعراف: 163].

«وعامل النصب عند الفراء (لا تأتيهُمْ)»[2]، ولفظة (يومَ) ظرف زمان منصوب.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: 94][3]، فلفظة (بينَكُمْ) ظرف مكان منصوب.

- ظرف المكان:

قال تعالى: ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ [الأنفال: 42]

فلفظة (أسْفَلَ) جاءت منصوبة على النعت لظرف محذوف أعرب إعرابه عند الفراء، ويجيز فيه الرفع وذلك على إخراجه من الظرفية واكتسابه الوصف فيقول: «نُصِبت، يُريد مكاناً أسفلَ مِنكُم، ولو وصفه بالتَّسَفُّل وأرادَ والركبُ أشدَّ تسَفُّلاً لجاز ورفع».[4]

---

(1) الفراء: معاني القرآن، ج1، ص 305.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص 398.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص 345.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص 411.

قال تعالى: ﴿مِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ [طه: 130]، (أطرافَ) النصب فيها عند الفراء بالعطف على الظرف يقول: (قبل طلوع الشمس وقبل الغروب)، وجاء في هذا المثال عند الفراء وجهان من الإعراب؛ النصب بالعطف على (قبل) في قوله (وَسَبِّحْ بِحَمدِ ربِّكَ قبلَ طُلوعِ الشَّمسِ وَقبلَ غُروبِهَا)، أو بالخفض بالعطف على (آناءِ الليلِ) ،أي فَسَبحْ مِنْ آناءِ اللّيلِ ومنْ أطرافِ النّهارِ.[1]

هذا وقد أجاز الكوفيون في قرينة الظرفية أن تكون (مَنْ) ظرف زمان ومكان، وحجتهم في ذلك أنها جاءت في كتاب الله تعالى وكلام العرب، ومن أمثلتها قوله تعالى: «﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة: 108]» [2]، ف (من) في الآية تشير لابتداء الزمن فتحمل على الظرفية.

وقال الشاعر: زهير بن أبي سلمى:

لِمَنِ الديارُ، بقنةِ الحجرِ أقْوَينَ مِنْ حِجَجٍ ومِن دَهْرِ[3]

وعليه فقد جاء الاستدلال بقول الشاعر (مِنْ حججٍ ومِنْ دَهرٍ)، على أنه يجوز استعمال (مِنْ) لابتداء الغاية الزمانية والمكانية.

1-2-هـ- قرينة الملابسة: تخص الحال، وتكون «بالاسم المنصوب أو الجملة بعد الواو، إذ يلابس صاحب الحال الهيئة»[4]، ومن أمثلة الحال المفرد عند الكسائي:

---

[1] ينظر: الفراء: معاني القرآن، ج2، ص 195.

[2] الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ج1، ص 345.

[3] المصدر نفسه، ج1، ص 345.

[4] تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 201.

قال تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: 2]، أجاز «الكسائي نصب لفظة (مُحدثٍ) على أنه حال، أي بعضُ ما يأتيهمْ محدثاً، أما الفراء فيجيز النصب والرفع»[1]، وعليه فلفظة (مُحدثٍ) يجوز أن تكون حالا منصوبة عند كليهما، وإن وردت بالكسر من قبيل النعت.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الشعراء: 208-209].

قال الكسائي: «ذكرى في موضع نصب على القطع»[2]، إذا فلفظة (ذِكرَى) حال منصوبة، وإن أعربها أهل البصرة مفعولا لأجله.

وقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 18]، وجَّه «الفراء إعراب (قائِماً) على أنه منصوب على القطع، لأنه نكرة نعت به معرفة»[3]، إذا فلفظة (قائماً) حال منصوبة.

وقال الكسائي في قوله تعالى: ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ﴾ [المائدة: 38]، «انتصب جَزاءً على الحال» [4]، إذا (جَزاءً)جاءت حالا منصوبة وهو عند أهل البصرة مفعولا لأجله، وإنّما نصبه أهل الكوفة على القطع فجعلوه حالا.

---

(1) الكسائي: معاني القرآن، ص 195.

(2) المصدر نفسه، ص 206-207.

(3) الفراء: معاني القرآن، ج1، ص 199.

(4) الكسائي: معاني القرآن، ص 124.

ومن أمثلة الجمل الواقعة حالا عند الفراء:

قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البقرة: 28]، جاءت هذه الآية عند الفراء «على وجه التعجب والتوبيخ، لا على الاستفهام المحض؛ أي ويحكُمْ كيفَ تكفُرُونَ، والمعنى -والله أعلم- قَدْ كُنتُمْ»[1]، وجملة (وكُنتُمْ أمواتاً فَأَحْياكُم) واقعة حال بإضمار قد.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: 91]، فالجملة الفعلية (يلعبون) لماَ سبقت بمعرفة أجاز الفراء نصبها على الحال، يقول الفراء: «لم يقل يلعبوا، فأمّا رفعه فأن تجعل (يلعبون) في موضع نصب كأنك قلت في الكلام: ذَرهُمْ لَاعِبِينَ»[2]، وجملة (يلعبون) حال منصوب.

أجاز الكوفيون في الحال أن يكون فعلا ماض، وحجتهم في ذلك أنها جاءت في كتاب الله عز وجل كقوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء: 90]، فـ «حَصِرتْ: فعل ماض، وهو في موضع الحال».[3]على اعتبار أنّها وصفت معرفة.

1-2-و- قرينة التفسير:

تخص التمييز إذ يذكر الاسم المنصوب النكرة لتفسير الإبهام فيكون في معنى الإسناد نحو: طابَ زيدٌ نفساً وفي معنى التعدية نحو: زرعتُ الأرضَ قمحاً.[4]

---

(1) الفراء: معاني القرآن، ج1، ص 23-24.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص 343.

(3) الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ج1، ص 233.

(4) ينظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 240.

ومن أمثلة ذلك أيضا:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آَثِمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة: 283]، قال الفراء: «أجاز قومٌ قلبَهُ بالنصب، فإنه يكن حقاً فهو من جهة قولك: سَفهتُ رأيكَ و أثمت قلبكَ».[1]

وعليه يجيز الفراء نصب (قلبَهُ) على التمييز.

قال تعالى: ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾ [آل عمران: 91]، يقول «الفراء: نُصب (الذَّهبُ) لأنه مفسر لا يأتي مثله نكرة فخرج نصبه، كنصب قولك: عندِي عشرونَ دِرهَماً»[2]، ولفظة (ذَهباً) تمييز منصوب، والعامل فيه الاسم المبهم قبله (ملءُ الأرضِ) وهو تمييز مقدار.

قال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور: 43]، ورد عند الفراء قوله:« (منْ جبالٍ فيهاَ مِنْ برَدٍ) والمعنى المقصود مقدار ما في الجبالِ منْ بردٍ، ومَنْ في هذا الموضع إذا أُسقطت نصبت ما بعدها»[3]، ولفظة (بَرَدٍ) تمييز مقدار.

1-2-ز- قرينة التبعية:

ويفهم بها ارتباط التابع بالمتبوع ،وهي الأخرى قرينة معنوية كبرى، إذ تندرج تحتها أربع قرائن وهي النعت العطف، التوكيد، والإبدال.

---

[1] الفراء: معاني القرآن، ج1، ص 188.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص 225.

[3] الفراء: معاني القرآن، ج2، ص 256.

– النعت:

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: 07]، «قال الكسائي في (أُخَرُ): لم تنصرف لأنها صفة مرفوعة»،[1] و(أُخَرُ) نعت عند الكسائي معطوفة عند غيرهم من أهل البصرة.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: 59]، «قرأ الكسائي (غيرِ) بالخفض فجعلها نعتا للفظة إلهٍ»،[2] والنعت يتبع المنعوت.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ [البقرة: 53]، قال الكسائي: «الواو مقحمة»،[3] وهو نعت للفظة (كتاب).

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 52]، وقرأ الكسائي «هُدًى وَرَحْمةً بالخفض»،[4] لأنه نعت، أما الفراء فقد قال: أن النعت بالمصدر يكون على التأويل المشتق ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: 18].

---

(1) الكسائي: معاني القرآن، ص 96.

(2) المصدر نفسه، ص 144.

(3) المصدر نفسه، ص 70.

(4) المصدر نفسه، ص 143.

«ومصدر كَذِبَ، مَكْذوبٌ والعرب تقول: للكذب مكذوب فيجعلون المصدر في كثير من الكلام على وزن مفعول»،[1] وإعراب لفظة (كَذِبٍ) نعت وقد وردت مصدراً.

-العطف:

ومن أمثلة العطف قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ [البقرة: 196]

قال الفراء: (وَسَبعَةٍ) معطوفة على(ثَلاثةٍ) وفي تقديره (صُومُوا سبعةٍ إذا رَجعتُم)».[2]إذا فالواو جاءت للعطف.

قال تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائدة: 6] [3]

قرأ الفراء بالفتح (أرجلَكُم) عطفا على أرجلَكُم ووجوهَكُم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: 69]

قال الكسائي «(الصّابئُون) عطف على (الذين)، إذ الأصل في الذين الرفع، وإذا نصب فهو ضعيف».[4]

و(الصابئون) عطف أيضا على لفظة (هادوا).

---

[1] الفراء: معاني القرآن، ج2، ص 38.

[2] الفراء: معاني القرآن، ج1، ص 118.

[3] المصدر نفسه، ج1، ص 302.

[4] المصدر نفسه، ج1، ص 125-126.

قال تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: 7]، وجه الفراء إعراب «(وَلَا الضَّالِّينَ) بأنه نسق بالواو على قوله تعالى: "غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ"».[1] و(الضّالين) معطوفة على المغضوب مجرورة بالباء لأنّها جمع مذكر سالم.

قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: 45]، أجاز الكسائي« رفع العينُ، الأذنُ، الأنفُ والسّنُ»،[2] لأن الواو عاطفة جملة على جملة ،كما تعطف مفردا على مفرد، فتكون الجملة الاسمية (العينَ بالعينِ) معطوفة على الجملة الاسمية (أنَّ النفسَ بالنفسِ).

قال تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ [النجم: 6-7]، وفي هذا المثال أجاز الكوفيون «العطف على الضمير المرفوع المتصل والمعنى، فاستوى جبريل ومحمد بالأفق وهو مَطلعُ الشّمسِ»،[3] فلفظة (هو) معطوفة على الضمير المستتر في (استوى).

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: 1]، أجاز الكوفيون في هذا المثال «العطف على الضمير المخفوض»[4]، و لفظة (الأرحامِ) عطفت على الهاء،فخفضت دون الحاجة لإعادة الخافض.

ويرجع سبب جوازهم العطف في هذا المثال إلى أنه جاء في القرآن الكريم وكلام العرب.

---

(1) المصدر السابق، ج1، ص 8.

(2) الكسائي: معاني القرآن، ص 123-124.

(3) الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين و الكوفيين، ج2، ص 13.

(4) المصدر نفسه، ج2، ص 13.

قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 2]

قال الكسائي «و(ذِكرَى) هي عطف على الكتاب، وهي أيضا عطف على (كتابٌ أُنزلَ)».[1]

ويتضح من خلال هذه الأمثلة أن الكوفيين يقيسون على كلام العرب، والقرآن الكريم في وضع قواعدهم النحوية، ويهتمون بالظاهر من المبنى.

– البدل:

تناول الكوفيون الإبدال من اللفظ ،كإبدال النكرة من المعرفة ومن أمثلة البدل عندهم:

قوله تعالى: ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [العلق: 16]، قال الفراء «إن المعرفة ترد على النكرة بالتكرير»[2] ولهذا جاءت لفظة (ناصيةٍ) بالخفض بدلا.

قال تعالى: ﴿ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾ [الدخان: 6]، قرأ الكسائي «ربِّ بالخفض»،[3] لأنه بدل من ربك، بمعنى رحمةً من ربّكَ ربِّ السماواتِ والأرضِ.

قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [المائدة: 73]، أجاز الكسائي «الخفض في(إلهٍ واحدٍ) على البدل».[4] فلفظة (إلهٍ) بدل مجرور.

---

[1] الكسائي: معاني القرآن، ص 142.

[2] الفراء: معاني القرآن،ج3، ص 279.

[3] الكسائي: معاني القرآن، ص 229.

[4] المصدر نفسه، ص 126.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 52]

أخرجها الكسائي على هدًى ورحمةً[1] بدلا لـ (عِلمٍ).

– التوكيد:

قال تعالى: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾ [المؤمنون: 35]، وجه الفراء تكرار لفظة (أَنَّكُمْ)في الآية الكريمة على أنها توكيد لفظي لدلالتهما على معنى واحد فقال: «أعيدت أنّكم مرتين ومعناها واحد إلا أن ذلك حسن».[2]

قال تعالى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾ [الجاثية: 28]، «أجاز الكسائي في (كلِّ أمةٍ)على التكرير»[3]، لأنها توكيد لفظي.

1–2–ح– قرينة الإخراج:

وهي قرينة معنوية فالمستثنى يخرج من علاقة الإسناد التي عليها المستثنى منه، وبذلك تكون "إلّا" التي هي قرينة لفظية قد تظافرت مع معنى الإخراج.[4]

ومن أمثلة الإستثناء عند الفراء والكسائي ما جاء في القرآن الكريم.

---

[1] ينظر: المصدر السابق، ص 143.

[2] الفراء: معاني القرآن، ج2، ص 234.

[3] الكسائي: معاني القرآن، ص 232.

[4] ينظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 199–200.

قال تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: 150]

قال الفراء: "إلاّ الذينَ ظَلَمُوا" معناها "إلاّ الذينَ ظلمُوا منهُم"، فلا حجة لهم وهو كما تقول في الكلام: الناسُ كلهُم لكَ حامدونَ إلاّ الظالم لك المعتدي عليك، وعليه فإلّا ليس بمعنى الواو، وإنما عملت عملها»[1] وجملة (الذينَ ظلمُوا) في موضع نصب بالإستثناء.

قال تعالى: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: 249]، ذكر الفراء بأنّ «"إلّا" تنصب ما بعدها، إذا كان ما قبلها لا جحد فيه».[2] ولفظة (قليلًا) بعد إلاّ منصوبة على الإستثناء.

قال تعالى: ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: 135]

قال الفراء: «ما قبل إلاّ معرفة وإنما يرفع ما بعد إلّا باتباعه ما قبله إذا كان نكرة ،ومعه جحد كقولك: ما عندي أحدٌ إلّا أبوكَ».[3]

(إلاّ الله) استثناء، ولفظة (الله) جاءت مرفوعة لأن ما قبلها معرفة.

قال تعالى: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ [هود: 43]، عارض «الفراء الاستثناء في هذه الآية، وأجاز وجها واحدا وهو النصب، أما الرفع بالإتباع فلا يجيزه لأنه لا يجوز أن يكون المعصومُ هو العاصمُ»،[4] والاستثناء بعد إلاّ منصوب.

---

[1] الفراء: معاني القرآن، ج1، ص 89.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص 166-167.

[3] المصدر نفسه، ج1، ص 239.

[4] الفراء: معاني القرآن، ج2، ص 15.

قال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: 57]، قرأ الكسائي « يقصُّ بالضاد فقال "يقضُّ الحقَّ"»[1]، (إلاَّ اللهُ) استثناء مرفوع.

قال تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 102]، «(إلّا هوَ خالقُ) أجاز الكسائي النصب في هذه الآية (خالقاً)»[2]، وهي استثناء منصوب.

قال أبو العباس ثعلب في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [الكهف: 16]، (قال لمْ يعتزلُوا اللهَ)، فجملة (إلاّ اللهُ) استثناء منصوب.

تقول: ضربتُ القومَ إلّا زيدًا، والمعنى "إلاّ زيدًا فإنّي لمْ أضْربهُ"»[3]، (إلَّا زيدًا) استثناء منصوب.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: 55]، "غير" يجوز أن تكون بمعنى إلّا عند الكوفيين.

«يقول الفراء: مَا لبثُوا في قبُورِهِم إلاَّ ساعةٍ»[4]، و(إلاَّ ساعةً) استثناء منصوب ويجوز فيه الخفض أيضا.

وقال تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [هود: 2]، «يقول الكسائي: (إلَّا اللهُ) استثناء منصوب».[5]

---

(1) الكسائي: معاني القرآن، ص 131.

(2) المصدر نفسه، ص 135.

(3) تعلب: مجالس ثعلب، ج1، ص 318.

(4) الفراء: معاني القرآن، ج2، ص 325-326.

(5) الكسائي: معاني القرآن، ص 161.

نظر الكوفيون إلى الإستثناء نظرة شكلية وصفية، والدليل على ذلك أنهم جعلوا كلاً من (خلاَ ،عدَا وحاشَا) وبعض الأدوات الأخرى تدخل في باب الإستثناء، وذلك لعدم اشتمالها على زمن الحدث.

وسبب اعتماد الكوفيين على القرائن المعنوية في تحليلاتهم لبنية التراكيب النحوية أنها تساعد على فهم الأسلوب، وأكثر مرونة في دراسة الظواهر اللغوية وهذا دليل على وصفيتهم.

2- القرائن اللفظية:

لهذه القرائن أثر مهم في التعرف على الأبواب النحوية، لأنها تدل على المعنى المقصود، ولولاها لا يتضح المعنى، كما تساهم أيضا في فهم القرائن المعنوية، والقرائن اللفظية في سياق الكلام تشمل الإعراب، الصيغة المطابقة، الرتبة، الربط، التضام، الأداة والتنغيم.[1]

2-1/ الإعراب أو العلامة الإعرابية:

وهي أوفر القرائن حظا عند النحويين، لأنها نالت اهتمام النحاة، حيث جعلوا منها نظرية كاملة، سموها «بنظرية العامل، ويؤكد ذلك ما ذهب إليه تمام حسان حينما قال بأن العلامة الإعرابية بمفردها لا تعين على تحديد المعنى، إلاّ إذا تظافرت القرائن الأخرى معها»[2]، فالعلامة الإعرابية قرينة لفظية مهمة، إذ يتوقف عليها المعنى أحيانا، ولهذا أولاها القدماء أهمية خاصة.

---

[1] ينظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 294.

[2] المرجع نفسه، ص 295.

والعلامات الإعرابية عند الكوفيين حركات وحروف، فالحركات هي العلامات الغالبة وهي الدالة على المعاني الإعرابية في أكثر الأسماء المعربة، أمّا الحروف فهي العلامات الخاصة في الأسماء الخمسة، المثنى، وجمع المذكر السالم.[1]

ومن أمثلة ذلك أن الكوفيين قد عدّوا الألف ،الواو والياء في التثنية والجمع بمنزلة الفتحة، الضمة، والكسرة في الإعراب، وحجتهم في ذلك أن إعرابها كالحركات، فهي تتغير كتغير الحركات، كقولك: "قام الزيدانُ"، و"رأيت الزيدانِ"، و"مررتُ بالزّيدَيْنِ"، و"ذهبَ الزيدُونَ"، و"رأيتُ الزيدينِ"، و"مررتُ بالزيديْنِ"، ونحو "قام زيدٌ"، و"رأيتُ زيدًا"، و"مررتُ بزيدٍ"[2] وما أشبه ذلك.

فلما تغيّرت الحركات دلّ على أنها إعراب بمنزلة الحركات، ولو كانت الحروف إعرابا لما جاز أن تتغير ذواتها عن حالها، لأن حروف الإعراب لا تتغير ذواتها عن حالها، فلما تغيرت تغيُّر الحركات دلّ على أنها بمنزلتها.

وقد أجاز الكسائي في العلامة الإعرابية أن تكون الأسماء الستة المعتلة نحو: أبوك، أخوك، حموك، هنوك فوك، وذُو مالٍ معربة من مكانين، وعليه فالعلامة الإعرابية عندهم ليست من مكان واحد، وإنما من مكانين مجتمعين معا، وهي الضمة والواو في حالة الرفع، الفتحة والألف في حالة النصب، الكسرة والياء في حالة الجر وحجته في ذلك أن هذه –الحركات– وهي الضمة والفتحة والكسرة، تكون إعرابا لهذه الأسماء في حال الإفراد نحو

---

[1] ينظر: مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص 256.

[2] ينظر: ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين و الكوفيين، ج1، ص 38–39.

قولك: "هذَا أبٌ لكَ"، و"رأيتُ أباً لكَ"، و"مررتُ بأبٍ لكَ"، والأصل فيه "أبُوا" فاستثقلوا الواو ،وأوقعوها على الباء، فكانت بذلك الضمة علامة للرفع، والفتحة علامة للنصب، والكسرة علامة للجرّ.[1]

وسبب إعراب الأسماء الستة من مكانين عند الكوفيين لقلة حروفها، وتكثيرا لها ولزيادة الإعراب إيضاحاً وبياناً، ولا يمكن موافقة الكوفيين في هذا الرأي لأن العلامات الأصلية لا تجتمع مع العلامات الفرعية بل تنوب عنها.

ومن أمثلة الكوفيين في الحركات الإعرابية قوله تعالى: ﴿فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ [النساء: 170]، يقول ثعلب: الكسائي يقول فيها (فَآمِنُوا يكُنْ خَيْرًا لَكُمْ)، والفراء يقول: (فَآمِنُوا إيماناً خَيْرًا لَكُمْ)، والاستعمال اللغوي يؤيد رأي الكسائي، كونه اعتمد على التركيب اللغوي الصحيح وذلك بالعودة إلى القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [آل عمران: 110][2]، فالكسائي حين قدر عاملا للاسم المنصوب رجع إلى الاستعمالات العربية الصحيحة وبنى رأيه على ما جاء في القرآن، وهذه ميزة الكسائي الذي لا يتخلى عن منهجه في النقل.

ومن الأمثلة عند الفراء قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ [النساء: 88]، أجاز الفراء في هذه الآية النصب بالفتحة سواء كان المنصوب معرفة أو نكرة، فقال: «يجوز في الكلام أن تقول مالكَ الناظرَ في أمرناَ لأنه كالفعل الذي ينصب بكان وأظنّ وما أشبههما»[3]، إذا فلفظة (فِئَتَيْنِ) جاءت منصوبة بالعامل (فَمَالكُمْ)

---

[1] ينظر: المصدر السابق، ج1، ص 24.

[2] ينظر: ثعلب: مجالس ثعلب، ج1، ص 307.

[3] الفراء: معاني القرآن، ج1، ص 280-281.

وذهب الفراء في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورى: 26]، إلى أنّ (الذين) يحتمل النصب على نزع الخافض، والرفع على الفاعلية.

لكنّ الفراء يربط هذه القرينة اللفظية –العلامة الإعرابية– بالمعنى في تحليله لبنية التراكيب النحوية في الآية القرآنية فيقول: يكون (الذين) في موضع نصب بمعنى: ويجيب الله الذين آمنوا ... ويكون استجابتهم بمعنى إستجاب لهم، ويكون (الذين) في موضع رفع، يجعل الفعل لهم؛ أي الذين آمنوا يستجيبون لله.[1]

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: 22]، و﴿مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 23]، أجاز الفراء في اللفظتين (مُهتَدُون) و(مُقتَدُون) الرفع والنصب؛ ويرجع السبب في أنّ الوقوف يحسن دونهما، فيقول: «تقول للرجل: قدمت ونحن بالأثر متبعِين ومتبعُون»[2].إذا فلفظتي (مهتدونَ ومقتدونَ) جاءتا على وجهين من الإعراب والأصل هو النصب باعتبارهما اسما لـ "إنّ".

أما ثعلب فقد ذكر في قول الشاعر:

أنَيْتَ بِعَبدِ اللهِ في القدِّ موثِقاً فألاَّ سَعيدًا ذا الخيانةِ والغدرِ [3]

يجوز فيه الخفض والنصب في لفظة (سعيدًا)

---

[1] ينظر: الفراء:معاني القرآن، ج3، ص 23-24.

[2] المصدر نفسه، ج3، ص 30.

[3] ثعلب: مجالس ثعلب، ج1، ص 59-60.

وأنشد بيتا لذي الرمة:

بِعينينِ كَحْلاَوَيْنِ لمْ يجرِ فيهماَ ضَمانُ وجيدٍ حُليّ الشّذرِ شَامسٍ[1]

أجاز الفراء في لفظة (ضَمَان) الرفع والخفض، يقول ثعلب: «يقال: بالرّجل ضمانٌ أي زمانة، والضمانةُ العشقُ، ورجلٌ ضَمينٌ وضَمِنٌ، إذا كان عَاشقاً»،[2] فثعلب من خلال احتجاجه يجيز وجها إعرابيا واحدا، وهو الرفع في لفظة (ضمانٌ).

وأورد ثعلب بيتا لمالك بن خالد الحناعي:

بأسرعَ الشَّدّ منّي يومَ لانَيةٍ لما رأيتهم واهتزّتِ اللِّمَمُ

فلفظة (الشَّدَّ) جاءت منصوبة عند ثعلب، والمقصود بها (يريد عند الشدِّ) ولا يجوز الخفض[3].

ومما سبق يتضح أن الكوفيين لم يجعلوا من العلامة عنصرا أساسيا في تحليل بنية التراكيب النحوية، والدليل على ذلك أنهم كانوا يعتمدون على المعنى أو الدلالة في تحديد هذه العلامة الإعرابية.

2-2- الرتبة: لقد أولى النحاة القدامى قرينة الرتبة أهمية كبيرة، حيث ظهر فهمهم العميق لها ولدورها في الجملة والرتبة قرينة لفظية تحدد معنى الأبواب المرتبة بحسبها، فهي العلاقة بين جزأين مرتبين من أجزاء السياق يدل موقع

---

(1) ثعلب: مجالس ثعلب، ج1، ص 84.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص 84.

(3) ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص 124.

كل منهما من الآخر على معناه.[1] والمقصود بالرتبة أن يكون للكلمة موقع معلوم بالنسبة لصاحبتها، كأن تأتي سابقة أو لاحقة لها.

وقد قسم تمام حسان الرتبة إلى قسمين:

2-2-أ- «**الرتبة المحفوظة**: إذا كان الموقع ثابتا»[2]، وهي تخص التقديم، كأدوات الصدارة والفاعل.

ومن أمثلة ذلك عند الكوفيين ما ذهب إليه الفراء في قوله تعالى: «﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴾ [طه: 49]»[3]، فـ (مَنْ) جاءت استفهامية في محل رفع مبتدأ.

وقال الكسائي في قوله تعالى: ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ [البقرة: 90]، فـ «(ما) و(اشتروا) إسم واحد قائم بنفسه في موضع رفع الفاعل (بئس)» [4]، ومنه فـ (ما) في محل رفع فاعل (بئس).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ [الأنعام: 117] [5]، فـ (مَنْ) في موضع رفع مبتدأ وهي استفهامية وخبرها (يضلُّ).

---

[1] ينظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 107-209.

[2] تمام حسان: البيان في روائع القرآن، دار عالم الكتب، دب ، ط1، 1413هـ، ص 94.

[3] الفراء: معاني القرآن، ج2، ص 180.

[4] الكسائي: معاني القرآن، ص 75-76.

[5] الفراء: معاني القرآن، ج1، ص 252.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾ [البقرة: 102] [1]، يرى الفراء أنّ (مَنْ) في قوله تعالى (لمنِ اشتراهُ) شرطية في موضع الرفع بالابتداء.

وقال تعالى: ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ [ق: 19] [2]، فلفظة (سَكْرَةُ) فاعل مرفوع جاء بعد الفعل (جَاءَتْ)، فرتبته بقيت محفوظة.

وقال تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾ [الإسراء: 23] [3]، أجاز الفراء إعراب (أَحَدَهُمَا) على أنه فاعل للفعل (يبلغنَّ).

2-2-ب- «**الرتبة غير المحفوظة**: وهي التي يكون فيها موقع الكلمة عرضة للتغيير»[4]، وتتضمن التقديم والتأخير وتخص المبتدأ والمفعول به،ومن أمثلة ذلك عند الكوفيين:

تقدم المفعول به في قوله تعالى: ﴿ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾ [غافر: 71]، يقول الفراء: «ترفع السَّلاَسِلُ والأغلاَلُ، ولو نَصَبت السَّلاَسِلَ وقلت يسحبون تُريد: يسحبُونَ سَلاسِلهُم في جهنَّم»[5].

جهنَّم»[5].

---

(1) المصدر السابق، ج1، ص 65.

(2) الفراء: معاني القرآن، ج3، ص 77.

(3) الفراء: معاني القرآن، ج2، ص 120.

(4) تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص 94.

(5) الفراء: معاني القرآن، ج3، ص 11.

فلفظة (السَّلاَسِلُ) مرفوعة بالعطف على المبتدأ (الأغلالُ)، ويجوز النصب فيها بكونها مفعول به مقدّم للفعل (يَسْحَبُون)؛ أي يسحبون السلاسلَ.

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾ [عبس: 20]، يقول الفراء: «ثم يسَّرهُ السبيلَ»[1]، فلفظة (السَّبيلَ) مفعول به ثاني للفعل (يسَّرهُ) المقدم عليه، والمفعول الأول الضمير و هو (الهاء).

قال تعالى: ﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ﴾ [البقرة: 184] [2]، ف (أيَّاماً) مفعول به مقدم على الفاعل.

قال تعالى: ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [الزمر: 1]، أجاز الكسائي (تنزيلُ الكتابِ) بالنصب على أنه مفعول به قال: «أي اتبعوا واقرؤا تنزيلُ الكتابِ»[3].

قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [القصص: 9] [4]، ذهب الفراء إلى أنّ (قرّةُ عَينٍ) رفعت بإضمار المبتدأ (هو).

قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: 124] [5]، فلفظة (إبْرَاهيمَ) مفعول به تقدم على فاعله (رَبّهُ).

ومثال ذلك أيضا: كانَ قائماً زيدٌ،[1] فقد قدِّم خبر كان على اسمها (زَيدٌ).

---

(1) المصدر السابق، ج3، ص 237.

(2) الكسائي: معاني القرآن، ص 86.

(3) المصدر نفسه، ص 43.

(4) الفراء: معاني القرآن، ج2، ص 302.

(5) الفراء: معاني القرآن، ج1، ص 76.

إنّ عدم مُيول الكوفيين إلى التأويل والتقدير، واعتمادهم على الظاهر جعلهم يخالفون البصريون في بعض المسائل النحوية المتعلقة بالتقديم والتأخير (الرتبة).

2-3- الأداة: وهي مبنى تقسيمي يؤدي معنى التعليق، والعلاقة التي تعبر عنها الأداة إنما تكون بين الأجزاء المختلفة من الجملة[2]، ومعنى ذلك أنها تدل على العلاقة بين عنصرين أو أكثر من عناصر السياق، وهي تنقسم إلى قسمين:

2-3-أ- الأداة الأصلية: وتقابل الحروف، كحروف الجر والنسخ والعطف[3].

ومن أمثلتها عند الفراء ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى﴾ [المائدة: 69]، أجاز الفراء عطف (الصّابئُونَ) وهو مرفوع على (الذين) وهو منصوب قبل مجيء الخبر[4] بواسطة أداة العطف وهي الواو.

وجاء في الشاهد الشعري لضابئ بن الحارث البرجمي:

« فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالمَدِينَةِ رَحْلُهُ فَإِنّي وَقَيَّارٌ بِهَا لَغَرِيبُ»[5]

فلفظة (قيَّارُ) معطوفة بالواو على الضمير (إنّي).

---

(1) ينظر: الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين و الكوفيين، ج1، ص 72.

(2) ينظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 123.

(3) ينظر: تمام حسان: الخلاصة النحوية، دار عالم الكتب، القاهرة، 2000م، ط1، ص 41.

(4) ينظر: الفراء: معاني القرآن، ج1، ص 311.

(5) المصدر نفسه، ج1، ص 311.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾ [العاديات: 6] [1]، وردت (اللام) حرف جر، ولفظة (ربّهِ) مجرورة باللام.

وقال الكسائي: في قوله تعالى: ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [التوبة: 1]، وأصل «(مِن) (مِنَّا) فحذفوا الألف، وأبقوا الفتحة وهي حرف من حروف الجر»[2]، وبهذا (مِن) أصلها (مِنَّا) عند الكوفيين.

وقال تعالى: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [البقرة: 3] [3]، ف (ممّا) حرف من حروف الجر.

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ [البقرة: 25]، قال الكسائي: «(أنّ) في موضع الخفض بإضمار الباء»[4]، رغم كون (أنّ) أداة نصب إلا أنّ الكوفيين قد جعلوها في الآية الكريمة في موضع الخفض.

2-3-ب- الأداة المحولة:

وهي الوحدات التي تجمع بينها وبين الحرف في قسم واحد، وقد تكون ظرفية كاستعمال أين، وأنّ في الاستفهام والشرط، أو اسمية؛ إذ تستعمل في بعض الأسماء المبهمة مثل: كم وكيف في الاستفهام، التكثير والشرط، أو فعلية كتحويل الأفعال التامة إلى أفعال ناقصة مثل كان وأخواتها، وكاد وأخواتها، وقد تكون الأداة المحولة ضميرية كنقل مَنْ، ما وأي، إلى معاني الاستفهام، الشرط، المصدرية، الظرفية والتعجب.[5]

---

(1) الكسائي: معاني القرآن، ص 52.

(2) المصدر نفسه، ص 28.

(3) المصدر نفسه، ص 62.

(4) المصدر نفسه، ص 65.

(5) ينظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 125-128.

ومن أمثلة ذلك ما جاء به الفراء في قوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: 19]، يقول الفراء: «يريدون مَن بلغهُ القرآنُ منْ بعدِكُمْ، وبلغَ صلة لـ (مَنْ)، ونصبت (من) بـ (أنذَركُم)» [1]، فـ (مَنْ) اسم موصول العائد عليه محذوف، والتقدير (ومن بلغه القرآن)، إذا (من) اسم موصول في محل نصب مفعول به.

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا ﴾ [النساء: 100][2]، فـ (من) شرطية.

قال تعالى: ﴿ مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ﴾ [يس: 52] [3]، فـ (من) في الآية استفهامية.

قال تعالى: ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ﴾ [الأنعام: 135]، يقول الفراء: «مَنْ تكون له في موضع رفع»[4]، فـ (من) جاءت في الآية استفهامية.

قال تعالى: ﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ﴾ [هود: 93]، يقول الفراء: «من في موضع رفع إذا جعلتها استفهاما، ترفعها بعائد ذكرها»[5]، إذا (مَنْ) وردت في الآية استفهامية.

---

[1] الفراء: معاني القرآن، ج1، ص337.

[2] الكسائي: معاني القرآن، ص 118.

[3] الفراء: معاني القرآن، ج2، ص 355.

[4] الفراء: معاني القرآن، ج1، ص 355.

[5] الفراء: معاني القرآن، ج2، ص 508.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ [الأنعام: 117] [1]، فـ (من) في موضع رفع وهي استفهامية.

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الفرقان: 18]، يقول ثعلب: «إدخال (من) وإخراجها واحد في هذا المعنى، فإذا دخلت فإنما أريد به التجزئة».[2] و(مِنْ) في الآية حرف زائد في المبنى فائدته معنوية.

ومن أمثلة الأداة المحولة الظرفية؛ إذ تستعمل الظروف في تعليق جمل الاستفهام والشرط ومن أمثلتها:

قال تعالى: ﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ [البقرة: 35]، قال الكسائي: «وبنو أسد يخفضون الثاء من (حيث) في موضع الخفض، وينصبونها في موضع النصب»[3] ،إذا فـ (حيث) يجوز فيها الخفض والنصب.

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: 132]، قال الكسائي: «(مهما) أصلها (مه)؛ أي إكفف ما تأتنا به من آية»[4] ،وبالتالي فالكوفيون يجعلون أصل (مهما) (مه).

وقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 38][5]، ذهب الكسائي إلى أنّ (مَنْ) شرطية وجوابها (فَلاَ خَوفٌ عَلَيهِم).

---

(1) الفراء: معاني القرآن، ج1، ص 352.

(2) ثعلب: مجالس ثعلب، ج2، ص 436.

(3) الكسائي: معاني القرآن، ص 51.

(4) المصدر نفسه، ص 28.

(5) المصدر نفسه، ص 68.

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾ [البقرة: 80]، ذهب الكسائي إلى أنّ أصل (لن) (لا أنا).[1]

وعليه فالكوفيون قد جعلوا بعض الأدوات تعمل عمل غيرها مثل إن، مما، منّا، ولن .... وغيرها كثير.

2-4- المطابقة:

تحصل بين أجزاء التركيب، فتتوثق الصلة بينهما وتصبح الكلمات متراصة، فتكون المطابقة قرينة على الباب الذي تقع فيه، وتحصل المطابقة في العلامة الإعرابية ،الشخص (التكلم، الخطاب، الغيبة)، العدد (الإفراد، التثنية والجمع)، النوع (التذكير والتأنيث)، والتعيين (التعريف والتنكير).

ومن وظائف المطابقة، الإعانة على إدراك العلاقات التي تربط بين العناصر المتطابقة كالتلازم بين المتطابقين، ورتبتهما الأصلية، وهي قرينة لفظية تتظافر مع القرائن الأخرى كالتلازم، والرتبة ... الخ، لإبراز المعنى المقصود من الكلام.[2]

ومن أمثلة المطابقة في العلامة الإعرابية عند الفراء والكسائي:

قال تعالى: ﴿ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا ﴾ [يوسف: 8] [3]، (يوسفُ،أحبُّ) متطابقتان في العلامة الإعرابية وهي الرفع.

---

[1] ينظر: الكسائي: معاني القرآن، ص 74.

[2] ينظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 211-212.

[3] الفراء: معاني القرآن، ج2، ص 36.

قال تعالى: ﴿ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴾ [المزمل: 18] [1]، (السَّماءُ، مُنفَطرٌ) متطابقتان في العلامة الإعرابية وهي الرفع.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ ﴾ [القمر: 3] [2]، (كلٌّ، مُسْتقرٌّ) متطابقتان من حيث العلامة الإعرابية الرفع . والملاحظ على هذه الأمثلة أن المبتدأ و الخبر متطابقان في الرفع.

ومن أمثلة التطابق في التعيين (التعريف والتنكير) عند الفراء والكسائي ما يلي:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ [البقرة: 14] [3]، فالمبتدأ (نحنُ)، والخبر (مستهزئونَ) متطابقان في التنكير.

قال تعالى: ﴿ بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴾ [الحجر: 15] [4]، فالمبتدأ (نحنُ) ،والخبر (قومٌ) متطابقان في التنكير.

- المطابقة في التثنية والتذكير:

قال تعالى: ﴿ قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾ [طه: 63] [5]، (هذانِ،سَاحِرانِ) متطابقتان في التثنية.

---

[1] الفراء: معاني القرآن، ج3، ص 199.

[2] المصدر نفسه، ج3، ص 104.

[3] الكسائي: معاني القرآن، ص 63.

[4] المصدر نفسه، ص 174.

[5] المصدر نفسه، ص 193.

قال تعالى: ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ [الحج: 19] [1]، (هذانِ ،خَصْمانِ) متطابقتان في التثنية.

قال تعالى: ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴾ [القصص: 32] [2]، (فَذَانِكَ، بُرْهَانَان) متطابقتان في التثنية.

قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: 2] [3]، (ذَلِكَ، الْكِتَابُ) متطابقان في التذكير.

قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: 1] [4]، (اللَّهُ ،أحدٌ) متطابقان في التذكير.

- المطابقة في العدد (الجمع المذكر والجمع المؤنث):

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [البقرة: 11] [5]، (نَحْنُ مُصْلِحُونَ) متطابقان في الجمع المذكر.

---

[1] الكسائي: معاني القرآن، ص 199.

[2] الفراء: معاني القرآن، ج2، ص 306.

[3] الكسائي: معاني القرآن، ص 61.

[4] المصدر نفسه، ص 261.

[5] المصدر نفسه، ص 63.

قال تعالى: ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: 25] [1]، فالضمير (هم) مطابق لكلمة (خالدون) ، إذا فكلاهما متطابقان في الجمع المذكر.

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ﴾ [الزمر: 38] [2]، (كاشفاتُ، ممسكاتُ) متطابقتان في الجمع المؤنث.

والملاحظ على هذه المجموعات من الآيات الكريمة أن الخبر طابق المبتدأ.

-المطابقة في الشخص (التكلم، الخطاب، والغيبة):

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [الأنبياء: 97] [3]، (هي) ضمير في محل رفع مبتدأ و(شاخِصَةٌ) خبر، إذا فالمبتدأ طابق الخبر في الغيبة.

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ﴾ [البقرة: 85][4]، "هو" ضمير في محل رفع مبتدأ وجملة "محرم عليكم إخراجهم" في محل رفع خبر، ومرجع الضمير في كلتا الآيتين جاء مبتدأ.

وبتأمل ما تناوله النحويون من صور التطابق بين أجزاء الجملة يتبين أنهم أقروا ضمنا أن التوافق الإعرابي والتطابق في العدد، النوع، التعيين، والشخص بين المبتدأ والخبر يعبر عن التوافق في المعنى بينهما.

---

[1] الكسائي: معاني القرآن، ص 65.

[2] المصدر نفسه، ص 223.

[3] المصدر نفسه، ص 197.

[4] الفراء: معاني القرآن، ج1، ص 60.

2-4-أ- العدول عن المطابقة:

حافظ أسلوب القرآن الكريم على المطابقة في الآيات القرآنية، إلا أنه في بعض المواضع جاء عدم التطابق ومن صور عدم التطابق ما يلي:

قال تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان: 21] [1]، ف (عَالِيَهُمْ) خبر مقدم و(ثِيَابُ) مبتدأ مؤخر، وهنا جاءت (عَالِيَهُمْ) و(ثِيَابُ) غير متطابقتين في العلامة الإعرابية.

قال تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴾ [المدثر: 54]، فقد خبّر عن المبتدأ الضمير في (إِنَّهُ) بالمؤنث (تَذْكِرَةٌ)، قال الفراء: «يعني القرآن، فمن قال: (إنّها) أراد السورة، ومن قال: (إِنَّهُ) أراد القرآن».[2]

قال تعالى: ﴿ هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: 203]، «ذهب الفراء إلى أن إسم الإشارة (هذا) يعود على القرآن والوعظ»[3]، أما الخبر (بصائرُ) فقد جاء جمعا ليطابق ما تضمنه المبتدأ من تعدد، حملا على المعنى.

قال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ [العنكبوت: 49]، ذهب الفراء إلى أنّ الضمير (هو) يعود على القرآن، ودليله في ذلك «قراءة عبد الله (بَلْ هي آيَاتٌ)».[4]

وبهذا تتم المطابقة بين المبتدأ والخبر حملا على المعنى.

---

(1) الفراء: معاني القرآن، ج3، ص 219.

(2) المصدر نفسه، ج3، ص 206.

(3) الفراء: معاني القرآن، ج1، ص 203.

(4) الفراء: معاني القرآن، ج2، ص 317.

قال تعالى: ﴿ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ [الأنبياء: 3]، ولم يقل (وأسرَّ النجوى)، أجاز الفراء أن يكون (الذين) فاعل (أسَرُّوا) ،و(الواو) في الفعل (أسَرُّوا) «علامة الجمع على لغة أكلوني البراغيث، فقال الفراء: إن شئت كانت رفعا كما يجوز: ذهبُوا قومُكَ».[1]

صحيح أنّ الكوفيين قد تناولوا العدول عن المطابقة من باب وجودها في القرآن الكريم، إلاّ أنّ هذا العدول لا يؤدي إلى الإخلال بالمعنى، ويمكن تبرير ذلك بالعودة إلى تأويل النحاة في الآيات القرآنية، والتي تبين أنّ المعنى متطابق.

وخلاصة القول أنّ الدراسات النحوية الكوفية قد استوعبت العديد من القرائن اللفظية والمعنوية، والتي فصّلها تمام حسان لتحليل التركيب النحوي، غير أنّ هذه القرائن قد جاءت متفرقة في ثنايا كتبهم، ولم تأت واضحة لديهم وإنّما أشاروا إليها من باب توظيفها في القواعد النحوية ،فدرسوها دراسة شكلية وصفية بعيدا عن التأويل، وهذا ما لوحظ في أغلب الأمثلة لأنهم كثيرا ما كانوا يلجؤون إلى كلام العرب والقرآن الكريم.

[1] الكسائي: معاني القرآن، ص 19.

الخاتمة

كانت هذه الدراسة محاولة لإبراز أهمية المنهج الوصفي في دراسة النحو العربي من باب التجديد وتأصيل التراث، وبعد رحلة البحث تم التوصل إلى مجموعة من النتائج منها:

- أنّ الباعث الأول على نشأة الدراسات اللغوية القديمة هو العامل الديني.

- كان القرآن الكريم مجالا للتطبيق لدى النحويين من منطلق المحافظة عليه.

- إنّ الدراسات اللغوية القديمة عند العرب في مراحلها الأولى اتسمت بالنزعة الوصفية.

- غلبت على الدراسات اللغوية الغربية من القرون الوسطى إلى القرن التاسع عشر النزعة العقلية المنطقية لأن هدفهم كان بناء نحو عام وعقلي.

- كان لظهور اللسانيات الحديثة الأثر البارز على الدراسات اللغوية القديمة حيث نقلت –هذه الدراسات– من الفلسفة والمنطق إلى العلمية والموضوعية.

- المنهج الوصفي من المناهج اللغوية الحديثة المهمة لدراسة اللغة، لأنه يركز على وصف اللغة بوجه عام على الصورة التي توجد عليها في فترة زمنية معينة.

- بدأت دراسة اللغة العربية ضمن المناهج اللغوية الحديثة بعد تأثر العرب بالبحث اللغوي الغربي، وذلك من خلال إعادة النظر في الموروث اللغوي العربي.

- إنّ أهمية المنهج الوصفي في دراسته للغة، دفعت باللسانيين العرب إلى تبنيه في العديد من أعمالهم اللسانية، ومن هؤلاء: إبراهيم أنيس، عبد الرحمان أيوب، محمود السعران، وتمام حسان الذي تعتبر تجربته في تطبيق المنهج الوصفي على اللغة العربية أجرأ محاولة لسانية في الوطن العربي.

– حاول اللسانيون العرب إيجاد هيكل بنيوي لوصف اللغة العربية مستمدا مقولاته من النظرية اللسانية الغربية.

– إنّ المنهج الكوفي يلتقي بالمنهج البنيوي الوصفي في العديد من النقاط:

– اعتماد الكوفيين على السماع أو الكلام المنطوق من أهم أسس المنهج الوصفي، لأنه يدعو إلى دراسة اللغة المنطوقة قبل المكتوبة.

– إنّ منهج الكوفيين يقوم على الأخذ بالظاهر والبعد عن التكلف واحترام المنقول، وهذا يتوافق مع المنهج الوصفي البنيوي.

– إنّ تناول الكوفيين للظواهر اللغوية على أساس شكلي جعلهم أقرب إلى المنهج الوصفي البنيوي هذا وإن لم يكن لهم فضل السبق إليه.

– إن اعتداد الكوفيين بجميع القبائل العربية والاعتماد على الشاذ والنادر والقليل سمة من سمات المنهج الوصفي.

– تحرر الكوفيين من القيود الزمانية والمكانية وتوسيع دائرة الاستشهاد جعلهم يحيطون بجميع جوانب اللغة، ودراسة مختلف مستوياتها وهي ميزة من مميزات المنهج الوصفي.

– اعتمد الكوفيون في وضعهم للقواعد النحوية على إجراءات المنهج الوصفي كالإستقراء والملاحظة والتصنيف.

– عناية علماء الكوفة أمثال الفراء والكسائي وثعلب بالقراءات القرآنية أثر على توجههم النحوي والذي كان يقوم على معالجة النصوص على ما تبدو عليه دون إعمال العقل في معظم الأحيان.

المذهب الكوفي في النحو مذهب عريق، ترك أثرا كبيرا من حيث إسهامه في نمو هذا العلم وتقدمه، فلم يدخر أعلامه العظماء جهدا ولم يبخلوا بشيء من علمهم وفكرهم في سبيل ثرائه، بل إنّ قيمته تتعدّى التراث إلى كونه خير دليل على اتصاف الدرس اللغوي بالصرامة العلمية اللازمة، لنفي ادعاءات المتحاملين على النحو العربي والداعين إلى ضرورة تغييره.

ولذلك فمن اللازم إعطاء التراث القيمة التي يستحقها من خلال استكمال ما بدأه النحاة القدامى والمضي قدما للوصول بالدرس اللغوي العربي إلى طابع العلمية، والتجدد النابع من داخله ويكون ذلك عن طريق الانكباب على دراسته دراسة علمية حديثة ،وجعله منافسا لمستجدات البحث اللساني والعلمي.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

المصادر:

- ✓ أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تح حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2007م.
- ✓ أبو العباس أحمد بن يحي ثعلب: مجالس ثعلب، تح عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ط2، دس.
- ✓ أبو زكريا يحي بن زياد الفراء: معاني القرآن، دار عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983م.
- ✓ علي بن حمزة الكسائي: معاني القرآن، تح عيسى شحاتة عيسى، دار قباء، مصر، دط، 1998م.

المراجع:

- ✓ إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، دط، 1989، دس.
- ✓ إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1985م.
- ✓ إبراهيم عبود السامرائي: المفيد في المدارس النحوية، دار المسيرة، عمان، ط1، 2007م.
- ✓ ابن جني أبو الفتح عثمان: الخصائص، تح محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، دط، دس، ج1.
- ✓ ابن جني أبو الفتح عثمان: الخصائص، تح محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، دط، دس، ج2.

- ✓ أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تر محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، 1991م.
- ✓ أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، الإمارات، د ط، د س.
- ✓ أحمد محمد قدور : مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط3، 2001م.
- ✓ أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2005م.
- ✓ أنيس فريحة: نظريات في اللغة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1981م.
- ✓ بريجيته بارتشت: مناهج علم اللغة، تر سعيد حسن البحيري، مؤسسة المختار، د ب، ط1، 2004م.
- ✓ بن زروق نصر الدين: دروس ومحاضرات في اللسانيات العامة، دار الكنوز الحكمة، الجزائر، ط1، 2011م.
- ✓ تمام حسان :اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، دب، دط، 1994م.
- ✓ تمام حسان: البيان في روائع القرآن، دار عالم الكتب، دب، ط1، 1413هـ.
- ✓ تمام حسان: الخلاصة النحوية، دار عالم الكتب، القاهرة، 2000م، ط1.
- ✓ تمام حسان: اللغة بين المعيارية والوصفية، دار عالم الكتب، مصر، ط4، 2001م.
- ✓ تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، د ط، 1955م.
- ✓ التواتي بن التواتي: مفاهيم في علم اللسان، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2008م.

- ✓ جرهارد هلبش: تاريخ علم اللغة الحديث، تر سعيد حسن البحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2013م.
- ✓ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: الإقتراح في أصول النحو، تح عبد الحكيم عطية، دار البيروتي، دب، ط2، 2006م.
- ✓ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، ج1.
- ✓ حافظ إسماعيل علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2009م.
- ✓ حلمي خليل: العربية وعلم اللغة البنيوي، دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية، دب، دط، 1988م.
- ✓ خديجة الحديثي: المدارس النحوية، دار الأمل، الأردن، ط3، 2001م.
- ✓ خليفة بوجادي: اللسانيات النظرية دروس وتطبيقات، بيت الحكمة للنشر، الجزائر، ط2، 2012م.
- ✓ رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1997م.
- ✓ روبنز: موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، تر أحمد عوض، دار عالم المعرفة، الكويت، دط، 1978م.
- ✓ السعيد شنوقة: مدخل إلى المدارس اللسانية، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ط1، 2001م.

- ✓ شفيقة العلوي: دروس في المدارس اللسانية الحديثة «التنظير، المنهج والإجراء»، دار كنوز الحكمة، الجزائر، دط، 2013م.
- ✓ شوقي ضيف: المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، ط7، دس.
- ✓ صادق يوسف الدباس: دراسات في علم اللغة الحديث، دراسة أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2012م.
- ✓ صلاح رواي: النحو العربي، نشأته، تطوره، مدارسه ورجاله، دار غريب للنشر، القاهرة، دط، 2003م.
- ✓ الطيب دبة: اللسانيات البنيوية، دراسة تحليلية إيستمولوجية، دار القصبة، الجزائر، د ط، 2001م.
- ✓ عبد الجليل مرتاض: لسانيات النص التحليلية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 2013م
- ✓ عبد الحميد مصطفى السيد: دراسات في اللسانيات العربية بنية الجملة العربية، دار الحامد، الأردن، ط1، 2004م.
- ✓ عبد الرّحمان الحاج صالح: بحوث ودراسات في علم اللسان، دار موفم للنشر، الجزائر، د ط، 2012م.
- ✓ عبد الرّحمان محمد أيوب: دراسات نقدية في النحو العربي، مؤسسة الصباح، الكويت، دط، دس.
- ✓ عبد الرّحمن السّيد: مدرسة البصرة النحوية نشأتها وتطورها، دار المعارف، القاهرة، دط، 1968م.
- ✓ عبد الرّحمن بن محمد ابن خلدون: المقدمة ديوان المبتدأ والخبر، تح خليل شحادة، دار الفكر، لبنان، دط، 2001م.

- ✓ عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، د ط، 1986م.
- ✓ عبد الفتاح الحموز: الكوفيون في النحو والصرف والمنهج الوصفي المعاصر، دار عمار، الأردن، ط1، 1997م.
- ✓ عبد القادر الراجحي: مبادئ في علم اللسانيات الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د ط، 2002م.
- ✓ عبد القادر المهيري وآخرون: أهم المدارس اللسانية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، د ط، 1986م.
- ✓ عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة نظم التحكم وقواعد البنيات، دار صفاء للنشر، عمان، ط1، 2002م.
- ✓ عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح محمود محمد شاكر، مكتبة القاهرة، القاهرة، دط، 1969م.
- ✓ عبد الكريم مجاهد: علم اللسان العربي فقه اللغة العربية، دار أسامة للنشر، عمان، الأردن، دط، 2009م.
- ✓ عبد الكريم محمد الأسعد: الوسيط في تاريخ النحو العربي، دار الشواق، الرياض، ط1، 1992م.
- ✓ عبد المجيد مجاهد: علم اللسان العربي، الشركة العربية المتحدة، القاهرة، دط، 2009م.
- ✓ عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط1، 2008م.
- ✓ علي النجدي ناصف: تاريخ النحو، دار المعارف، القاهرة، دط، دس.

- ✓ علي زوين: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1986م.
- ✓ فاطمة الهاشمي بكوش :نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، دار إتراك، مصر، ط1، 2004م.
- ✓ فتيحة قنيش: تاريخ الدراسات اللسانية، دار القدس العربي، الجزائر، د ط، 2013م.
- ✓ فرديناند دوسوسير: علم اللغة العام، تح يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق العربية، بغداد، دط، دس.
- ✓ كاترين فوك وبيارلي قوفيك: مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، تر المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1984م.
- ✓ مجد الدين محمد ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، تح علي الحلبي الأشري، دار بن الجوزي للنشر والتوزيع، دب، ط1، 1421 هـ.
- ✓ محمد الطنطاوي: نشأة النحو، وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، القاهرة، ط2، دس.
- ✓ محمد محمد داود: العربية وعلم اللغة الحديث، دار الغريب، القاهرة، د ط، 2001م.
- ✓ محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط1، 2004م.
- ✓ محمود أحمد نخلة: مدخل إلى دراسة الجملة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، د ط، 1988م.
- ✓ محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة، بيروت، د ط، دس.
- ✓ محمود حسني محمود: المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي، دار عمار، بيروت، ط1، 1986م.

- ✓ مصطفى الغلفان: اللسانيات العربية أسئلة في المنهج، الدار الأردنية للنشر، الأردن، ط1، 2013م.
- ✓ مصطفى الغلفان: في اللسانيات العامة تاريخها وطبيعتها وموضوعها ومفاهيمها، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط1، 2010 م.
- ✓ مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، دار مصطفى البابي، القاهرة، ط2، 1958م.
- ✓ ميشال أريفيه: البحث عن فرديناند دوسوسير، تر محمد خير محمود البقاعي، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2009م.
- ✓ ميلكا إفيتش: اتجاهات البحث اللساني، تر سعد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، د ب، ط2، 2000م.
- ✓ نعمان بوقرة: اللسانيات العامة اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، دار عالم الكتب الحديث، عمان، ط1، 2009م.
- ✓ نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، د ط، دس.
- ✓ نوزاد حسن أحمد: المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، دار الدجلة للنشر والتوزيع، دب، دط، دس.

المذكرات:

- ✓ إبراهيم محمد إبراهيم عثمان: مناهج البحث اللغوي ومدارسه، مذكرة ماجستير في الأدب و اللغويات، قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة عمر مختار، ليبيا، دس.

✓ أسماء دنايب: مفاهيم لسانية في الفكر النحوي عند سيبويه، دراسة تحليلية في كتابه، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في الأدب واللغويات، قسم اللغة العربية وآدابها، المدرسة العليا للأساتذة، قسنطينة، الجزائر، 2011-2012.

✓ عبد النبي محمد مصطفى هيبه جعفر: اختلاف النحاة ثماره وآثاره في الدرس النحوي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم النحو والصرف واللغويات، كلية اللغة العربية، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 2009م/ 2010م.

المجلات:

✓ أحمد يوسف: النحاة الجدد وميلاد اللسانيات التاريخية، مجلة عالم الفكر، العدد رقم 2، الكويت، أكتوبر، 2005م.

✓ عبد الرحمان الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث، مجلة اللسانيات، العدد رقم 1، الجزائر، يناير، 1972م.

فهرس المحتويات

الآية	اسم السورة	رقم الآية	ص
﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾	الفاتحة	07	113
﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾	البقرة	02	132
﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾	البقرة	03	127
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾	البقرة	08	85
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾	البقرة	11	132
﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾	البقرة	14	131
﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾	البقرة	25	133
﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ ﴾	البقرة	25	127
﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾	البقرة	28	109
﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾	البقرة	35	129
﴿فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾	البقرة	37	101
﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	البقرة	38	129
﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآَيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾	البقرة	41	102
﴿وَإِذْ آَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾	البقرة	53	111

﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾	البقرة	80	130
﴿ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ﴾	البقرة	85	133
﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾	البقرة	90	123
﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾	البقرة	102	124
﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾	البقرة	124	125
﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾	البقرة	148	96
﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾	البقرة	150	116
﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ﴾	البقرة	184	125
﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾	البقرة	196	112
﴿مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾	البقرة	236	105
﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾	البقرة	249	116
﴿كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾	البقرة	259	96
﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾	البقرة	283	110
﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾	البقرة	286	96
﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾	آل عمران	07	111

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	آل عمران	18	108
﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾	آل عمران	25	105
﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ﴾	آل عمران	31	84
﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾	آل عمران	37	100
﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾	آل عمران	91	110
﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾	آل عمران	110	120
﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾	آل عمران	135	116
﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾	آل عمران	150	99
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾	النساء	01	113
﴿فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾	النساء	11	84
﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾	النساء	24	104
﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾	النساء	81	104
﴿ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾	النساء	86	94
﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾	النساء	88	120
﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾	النساء	90	109

﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا ﴾	النساء	100	128
﴿فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾	النساء	170	120
﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾	المائدة	6	112
﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾	المائدة	26	106
﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ﴾	المائدة	38	108
﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾	المائدة	44	80
﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾	المائدة	45	113
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	المائدة	69	112
﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾	المائدة	73	114
﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾	الأنعام	19	128
﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾	الأنعام	55	100
﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾	الأنعام	57	117
﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾	الأنعام	91	109
﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾	الأنعام	94	106

﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾	الأنعام	102	117
﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾	الأنعام	117	129-123
﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ﴾	الأنعام	135	128
﴿هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾	الأنعام	136	85
﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾	الأعراف	02	113
﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾	الأعراف	52	114-111
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾	الأعراف	59	111
﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾	الأعراف	111	84
﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾	الأعراف	132	129
﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾	الأعراف	163	106
﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾	الأعراف	180	94
﴿ هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾	الأعراف	203	134

﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾	الأنفال	42	106
﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾	التوبة	1	127
﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾	التوبة	108	107
﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾	هود	02	117
﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾	هود	43	116
﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ﴾	هود	93	128
﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾	يوسف	07	80
﴿ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا ﴾	يوسف	08	130
﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾	يوسف	18	112
﴿ بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴾	الحجر	15	131
﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾	النحل	124	100
﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾	الإسراء	23	124
﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾	الكهف	16	117
﴿يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾	الكهف	94	80
﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴾	طه	49	123

﴿ قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾	طه	63	131
﴿مِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾	طه	130	107
﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾	الأنبياء	02	108
﴿ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾	الأنبياء	03	135
﴿ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾	الأنبياء	97	133
﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾	الحج	19	132
﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾	المؤمنون	35	115
﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾	النور	43	110
﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾	النور	58	100
﴿ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾	الفرقان	18	129
﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾	الشعراء	209-208	108
﴿ وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾	القصص	09	125
﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴾	القصص	32	132
﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾	العنكبوت	49	134
﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾	الروم	55	117
﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ﴾	سبأ	15	87

﴿ مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ﴾	يس	52	128
﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾	الزمر	01	125-102
﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ﴾	الزمر	38	133
﴿ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾	غافر	71	124
﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾	الشورى	26	121
﴿ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴾	الزخرف	22	121
﴿ مُقْتَدُونَ ﴾	الزخرف	23	121
﴿ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾	الدخان	06	114
﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾	الجاثية	28	115
﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾	ق	19	124
﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾	النجم	7-6	113
﴿ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ ﴾	القمر	03	131
﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾	القلم	44	102
﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ﴾	الحاقة	2-1	99
﴿ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴾	المزمل	18	131
﴿وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾	المدثر	11	103

﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴾	المدثر	54	134
﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾	الإنسان	21	134
﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾	عبس	20	125
﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾	التكوير	26	94
﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾	العلق	16	114
﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾	العاديات	6	127-85
﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ﴾	القارعة	2-1	99
﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾	الإخلاص	1	132

البيت الشعري		اسم الشاعر	الصفحة
أمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ	ويمدحهُ، وينصرهُ سواءُ	حسان	91
قَدْ عَلِمَتْ أُمُّ أَبِي السِّعْلَاءِ	وَعَلِمَتْ ذَاكَ مَعَ الجِرَاءِ	غير منسوب	89
فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالمَدِينَةِ رَحْلُهُ	فَإِنِّي وَقَيَّارٌ بِهَا لَغَرِيبُ	ضابئ بن الحارث البرجمي	126
ومَا الدّهرُ إلّا تارتانِ فمنهمَا	أموتُ وأخرى أبتغِي العيشَ أكدحُ	ابن مقبل	90
جَاءَتْ كَبِيرُ كَمَا أَخْفِرُهَا	وَالقَوْمُ صَيْدٌ كَأَنَّهُمْ رَمِدُوا	صخر الغي	89
لوْ أنَّها عُرِضَتْ لأشمطَ راهبٍ	يخشى الإلهَ صرورة مُتعبِّدِ	النابغة الذبياني	92
ونُنْكِر يوم الرَّوْع ألوانا خيْلَنا	مِن الطَعنِ حتّى نحسبُ الجَوْن أشقرا	غير منسوب	92
لِمَنِ الديارُ، بقنةِ الحجرِ	أقْوَينَ منْ حِجَجٍ ومِن دَهْرِ	زهير بن أبي سلمى	107
أَنَيْتَ بِعَبدِ اللهِ في القدِّ موثِقاً	فألاً سَعيدًا ذا الخيانةِ والغدرِ	غير منسوب	121
بِعينينِ كَحْلاَوَيْنِ لمْ يجرِ فيهماَ	ضَمانُ وجيدٍ حُليّ الشّذرِ شَامسِ	ذو الرمة	122
وإنَّ امْرءًا أَسْـرَى إلـيْك ودُونَـهُ	مِن الأَرْضِ مَوْماةٌ وبَيْداءُ سَـمْلَقُ	ابن قيس	89
اسْمَعْ حديثا كَمَا يوما تُحَدِّثُهُ	عَنْ ظَهرِ غَيْبٍ إذا ما سائلٌ سَأَلَا	عدي بن زيد العبادي	89
وأُنْبِئْتُ أنَّ رَسُولَ اللهِ أَوْعَدَني	والعَفْوُ عنْدَ رَسُولِ اللهِ مَأْمُولُ	زهير بن أبي سلمة	92
فأيهاتَ أيهاتَ العَقِيقُ وَمَنْ بِهِ	وأيهاتَ وَصْلٌ بالعَقِيقِ نُوَاصِلُهْ	جرير	90

و كُونُوا أَنْتُمُ وبَنِي أَبِيكُمْ	مَكَانَ الْكُلْيَتَيْنِ مِنَ الطِّحَالِ	غير منسوب	103
فَقُلْتُ يَمِينَ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِدا	وَلَوْ قَطَعُوْا رَأسِي لَدَيْكِ وَأَوْصَالِي	امرؤ القيس	91
بأسرعَ الشَّدّ منّي يومَ لانَيةٍ	لما رأيتهم واهتزّتِ اللِّمَمُ	مالك بن خالد الخناعي	122
لا تَنهَ عَن خُلُقٍ وَتَأتِيَ مِثلَهُ	عارٌ عَلَيكَ إِذا فَعَلتُ عَظيمُ	غير منسوب	103
وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأَ سُقْمَها	قَوْلُ الفَوَارِسِ وَيْكَ عَنْتَرَ أَقْدِمِ	عنترة	90
بَذَلْنا مارِنَ الخُطَى فيهِمْ مِنَا أَنْ ذَرَّ قَرْنُ الشمسِ حتى	وَكُلَّ مُهَنَّدٍ ذَكَرٍ حُسَامِ أغابَ شَرِيدُهمْ قَترُ الظَّلام	غير منسوب	91
وتشرق بالْقَوْل الَّذِي قدْ أَذَعْتهُ	كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ الْقَنَاة من الدَّم	الأعشى	90
فلمَ دَفنتمْ عُبيدَ اللهِ في حدثٍ	ولمَ تعجلتمْ ولمْ تروحونَا	غير منسوب	92
تمرُّ على ما تستمرُّ، وقد شَفَتْ	غَلَائِلَ عبدُ القَيْسِ منها صُدُورِهَا	غير منسوب	89

ملاحظة: رتبت هذه الأبيات الشعرية ألف بائيا حسب حرف الروي.

المحتوى	الصفحة
مقدمة.....	أ–ج
مدخل: الدراسات اللغوية القديمة	
توطئة.....	07
1– الهنود.....	07
2– اليونان.....	08
3– الرومان.....	09
4– العرب.....	10
4–1– مدرسة البصرة.....	11
4–2– مدرسة الكوفة.....	14
4–3– الخلاف بين المدرستين.....	21
4–4– مدرسة بغداد.....	25
4–5– عصر الانحطاط.....	27

الفصل الأول: الدراسات اللغوية الحديثة والمنهج الوصفي

توطئة..... 30

المبحث الأول: الدراسات اللغوية ما قبل الوصفية..... 34

1- الفيلولوجيا التاريخية..... 34

2- الفيلولوجيا المقارنة..... 36

3- النحاة الجدد..... 40

المبحث الثاني: الدراسات اللغوية الوصفية..... 46

1- اللسانيات..... 46

2- سوسير حياته وأعماله..... 49

3- المنهج الوصفي البنيوي..... 58

الفصل الثاني: الملامح الوصفية في الدرس اللغوي الكوفي

- توطئة..... 76

المبحث الأول: المفاهيم العامة..... 78

1- العلاقة بين الدال والمدلول..... 78

2- اللغة والكلام..... 83

3- الآنية والتاريخية..... 86

4- الإتصال المباشر..... 93

المبحث الثاني: المفاهيم البنيوية النحوية التركيبية الخاصة..... 98

1- القرائن المعنوية..... 98

2- القرائن اللفظية..... 118

خاتمة..... 137

قائمة المصادر والمراجع..... 141

فهرس الآيات القرآنية..... 150

فهرس الأبيات الشعرية..... 159

فهرس المحتويات..... 161